كتب تاريخية

عصر أوفا ملك انجلترا الأنجلوساكسوني

٧٥٧ - ٧٩٦ م

دكتور
مصطفى حسن محمد الكناني
أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد
كلية الآداب - جامعة أسيوط

توزيع منشأة المعارف بالإسكندرية
جلال حزى وشركاه

بسم الله الرحمن الرحيم

« لتجـدن أشد الناس عـداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهـم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انَّا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون ، واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ، يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين »

(المائدة : ٨٢ ـ ٨٣)

إهـــداء

الى طـــــلاب الحقيقة فى كل مـــكان

مصطفى حسن محمد الكنانى

الفاتحة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله منطق الألسنة بتحميد صفاته ، وملهم الجنان الى تقديس ذاته ، نحمده ونشكره ، ونستعينه ونتوب اليه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا • من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ، اللهم لاعلم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم ، ونشهد أن لا اله الا الله ، وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله • اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحابته ، ومن دعا بدعوته واهتدى بهديه الى يوم الدين ، ثم أما بعد •

فالمعروف أن الجزيرة البريطانية قد ظلت على امتداد تاريخها القديم فى عزلة تامة عن القارة الاوربية ومؤثراتها الحضارية • وبعد قدوم الغزاة الرومـان وسيطرتهم عليها ، ارتبطت بريطانيا الرومانية (٥٥ق•م ــ ٤٥٠م) بمسار الاحداث فى القارة الاوربية، ومنذ ذلك الحين فصاعدا ، وحتى نهاية العصور الوسطى عاشـت بريطانيا فى ظل تطورات أوربا الحضارية (١) • ومن أهم مظاهر تلك التطورات قدوم البرابرة الانجلوساكسون الى بريطانيا ، واقامتهم ممالكهم المشهورة على حساب البريطانيين السكان الاصليين للجزيرة• ومنذئذ بدأ نمو واكتمال مقومات الامة الانجليزية على حد قول البعض ، وعرفت بريطانيا باسم انجلترا (٢) •

---

(١) نظير حسان سعداوى : تاريخ انجلترا وحضارتها فى العصور القديمة والوسطى ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص د ، ٥ وما بعدها •

(٢) ذكر روجرأوف ويندوفور أن اسم بريطانيا مشتق من اسم بروتوس =

وجدير بالذكر أن منابع تاريخ انجلترا الانجلوساكسونية نادرة وقليلة ، فمنها ما دون باللغة اللاتينية أو باللغة الانجليزية القديمة ، ومنها مالا يزال بلغته القديمة التى كتب بها ، ولم يترجم بعد الى اللغات الحديثة ، ومنها ما ترجم الى اللغات الحديثة كالانجليزية أو الفرنسية ، وتم نشرها نشر علميا محققا . هذا ، وقد يبدو لاول وهله أن الكتابة فى تاريخ الانجلوساكسون بعامة سهل وميسور ، الا أن ندرة المصادر والوثائق بالنسبة للعديد من جوانب الموضوع الهامة ، جعله فى حاجة الى مزيد من الدراسة العلمية الدقيقة ، لكشف غموض تلك الجوانب وسد فجواته العديدة ، وتوضيح الرؤيا أمام الباحثين عن حقيقة هؤلاء القوم البرابرة .

وموضوع بحثنا هذا يتناول تاريخ عصر شخصية واحد من أعظم ملوك أوربا وأكثرهم شهرة وغموضا فى العصور الوسطى ، ألا وهو الملك أوفـّـا **OFFA REX** ملك مرسيا **Mercia** الانجلوساكسونى لقد استطاع على امتداد عصره الذى امتد تسعة وثلاثين عاما أن يخرج مملكته عن عزلتها (٧٥٧ — ٧٩٦م) وبعد جهود مضنيـــة

=

Brutus (المغـامر القرطـاجنى) ، وبعد قدوم الانجلوساكسون عرفت باسم انجلترا أو أنجليا Anglia نسبة الى الانجلز Angles أنظـــر :

Roger of Wendover, Flowers of History, trans. From the Latin by Galas, J. A., London, 1848, Vol. I, p. 53; Geoffrey of Monmouth, The History of The Kings of Britain, trans - with an introduction by Lewis Thrope, London, 1976, pp. 53 - 74.

بذلها فى شــتى الميــادين العســكرية والدبلوماســية نجــح فى توحيد الممالك الأنجلوساكسونية تحت زعامته ، ولاول مــرة فى التاريخ اتحدت هذه الممالك وبلغت فى عصره مكانة سامية ، تمتعت فيها بالثروة والامن والامان بفضل مشروعاته الاقتصادية والعمرانية وتشريعاته العادلة ، فاستحق عن جدارة لقبى : « ملك انجــلترا **Rex Anglorum** » ، وملــك كــل بلاد الانجـــليز **Rex totius Anglorum Patriae** » ولعلنــا نجــد فى أعماله الخالدة فى شتى المجالات الانف ذكرها ، فضلا عما عرف عنه من ورع وتقوى وطيبة قلب من جهة ، بالاضافة الى تودد كل من البابوية وشارلمان العظيم اليه ، ومهادنتهما اياه رغم كراهيتهما الشديدة له من جهة أخرى ، ما يؤكد عظم مكانته التى تمثلت فى تخطيه حدود بلاده ، وتركه بصماته القوية على مجريات أمور السياسة الاوربية فى أخريات سنوات عمره •

ويلاحظ أن تاريخ الملك أوفّا لم ينل حظه الــكامل من الدراسة المتكاملة الجوانب ، اذ ان الموضوع لم يدرس بعد سواء فى الشرق أو الغرب دراسة علمية موضوعية قائمة بذاتها • بينما وردت الاشارة اليه عرضا بين ثنايا كتابات بعض المؤرخين المعنيين بتاريخ الجزيرة البريطانية بعامة • هذا ويلاحظ أن اغلب المؤرخين المهتمين بدراسة تاريخ انجلترا الأنجلوساكسونية ، قد مروا على عصر الملك أوفّا مرور الكرام ، بينما فريق آخر قد أهمل الاشارة اليه تماما • ومن ثم فان كل ما دون عن تاريخ هذا الملك ، لا يتعدى نتفا أو شذرات

مبعثرة هنا أو هناك ، أو على أكثر تقدير ، فصل أو بعض فصل في كتب المؤرخين المتخصصين أمثال ستنتون Stenton ،ووايتلوك Whitelock وورمالد Wormald وهـــارت Hart .

ومن الغريب الملاحظ أن الملك أوفّا رغم عظم مكانته تلك ، فان جميع وثائق عصره دون غيره من الملوك الانجليز قد اختفت ! فكل ماوصلنا عنه مجرد اشارات بسيطة لا تتعدى سطرا أو بعض سطر ، مما لا يروى غلة الباحث . والاكثر غرابة أن المصادر المعاصرة لم تشر الى نهايته ، أو الى مكان دفنه ، ولولا رواية وردت عرضا فيمصدر متأخر (القرن ١٣م) ماعرفنا شيئا عن مكان دفنه ، الذى تحدده الرواية كما هو متوافر فى مصـــلى صغير داخـــل مبنى مجهول على حافة نهر اشتهر بفيضاناته المدمرة ! بينما المفروض أن يدفن كالعادة المتبعة مع غيره من أقرانه الملوك فى كنيسة العاصمة أو كاتدرائيتها ! واضافة لما سبق يلاحظ أن كافة المصادر والوثائق المعاصرة والمتأخرة زمنيا بخاصة ، وأغلب المراجـــع والموســـوعات والمعاجم المتخصصة بصفة عامة ، قد أهملت الاشارة الى أهم وأندر العملات فى تاريخ أوربا الوسيط ، والتى أصدرها الملك أوفّا ،وأعنى بذلك ديناره المشهور الذى نقش عليه اسمه بالحروف اللاتينيـــة مصحوبا بعبارات التوحيد الاسلامية (لا اله الا الله وحده لاشريك له ـــ محمد رسول الله) ! مما أوقع المؤرخين المعنيين فى حيرة ، وكان أن تعددت آراؤهم وتضاربت بشأن أسباب ضرب هذا الدينار ومدلولاته الهامة . هذا وجدير بالذكر أن هناك من تساءل عما اذا

كان أوفّا قد اعتنق الاسلام ، وخرج علينا بالرأى القائل باعتناقه الاسلام ، اعتمادا على ديناره الانف الذكر •

لذا ، ولأهمية هذه المقولة وخطورتها من جهة ، على ضوء المعلومات القليلة التى أمدتنا بها المصادر والوثائق النادرة من جهة أخرى ، قمنا بعمل دراسة تحليلية لتلك الآراء لبيان مدى صحتها بعد مقارنتها بغيرها من المعلومات والروايات المشابهة فى غيرها من المراجع المتخصصة ، واضعين نصب أعيننا الوصول الى الحقيقة التاريخية المجردة المنزهة عن أى غرض آخر • ويلاحظ أن المؤرخين الغربيين كافة قد تغاضوا كلية عن مناقشة مدى صحة القول باحتمال اعتناق الملك أوفّا للاسلام ، ومن ثم القول بأن ضرب هذا الدينار كان محصلة طبيعية له • لقد تعلل هؤلاء بعدم وجود نص صريح يؤكد صحة هذا الاحتمال من جهة ، ومقارنتهم حالة الضرب ها هنا بحالات أخرى مشابهة لدنانير سكها الصليبيون فى الشام ، فضلا عما أصدره بعض ملوك الفرنج فى أوربا العصور الوسطى فى هذا الصدد من جهة أخرى •

لكننا بفضل الله ، ثم بفضل ما حصلنا عليه من وثائق ، فضلا عن صورة الدينار والمعلومات التى أمدنا بها المسئولون المعنيون فى المتحف البريطانى ، وغيرهم من المتخصصين فى علم النميات(٣)

---

(٣) يحضرنى فى هذا الصدد توجيه الشكر والعرفان بالجميل للسادة المشرفين على المتحف البريطانى ، ومكتبته العامة وقسم المسكوكات بصفة خاصة ، لتصريحهم لى بنشر لوحة الدينار المرفقة ، فضلا عن تيسيرهم لى سبل شراء مصادر البحث ومراجعه وتصوير النادر =

قد رجحنا اعتناق الملك أوفـّا الدين الاسلامى • آملين أن نكون قد وضعنا بهذه الدراسة الصعبة حدا للحيرة التى أوقع المؤرخون المعنيون أنفسهم فيها ، فهم فى ظاهرهم كانوا يلهثون وراء تفسير منطقى لحقيقة ضرب هذا الدينار ، بينما هم فى باطنهم مقتنعون بما وصلنا اليه فى هذا الصدد • فلا مراء فى أن أى باحث مدقق ومنصف لا يغيب عن خاطره أن هناك أسبابا قد حالت ولا زالت تحول حتى يومنا هذا دون هؤلاء المؤرخين ودون اعلانهم صحة هذه المقولة ، وأعنى بذلك خوفهم من ردود فعل الكنيسة المضادة لهم اذا ما خرجوا علينا بمثل هذا الرأى الذى فيه يمترون ، ولعل ذلك يفسر أسباب تعدد آراء هؤلاء المؤرخين حول حقيقة أسباب ضرب هذا الدينار ، ومن ثم يدعم القـول بعدم تحليهم بروح المؤرخ المحايد ، فضلا عن كشف خبث نواياهم وكراهيتهم الشديدة للاسلام والمسلمين •

=

منها وسهلوا لى مهمة الحصول على كافة مصادر تاريخ انجلترا فى العصور الوسطى وعلى رأسـها مجموعة الوثائق التاريخيـة الانجليزية الاصـلية أيضا • وأخص بالذكر السيد / ف • أوتود Ph. Ottwood ، والسيدة / س •م • يونـجز S. M. Yongs فضلا عن السادة المشرفين على مكتبتى جامعتى ديلون Dillon وكنت Kent لما قدموه من مساعدات يسرت لى شراء العـديد من مصادر البحث ومراجعه الهامة ، كما لا يفوتنى شكر الزميلين د•/ رأفت النبراوى ، د•/ محمد غيطاس ، وأمينى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة ، السـيد الاستاذ محمـد عبد الرحمن فهمى ، والانسة الاستاذة وجيدة يحيى عزب ، لما قدموه لى من مساعدات : فجزاهم الله عنا خير الجزاء •

لقد تم اعداد هذا البحث بعد جهد جهيد بذلناه على امتداد أكثر من ثلاث سنوات ، لصعوبة الموضوع وندرة المادة العلميـــة الخاصة بتاريخ الملك أوفـّا كما أسلفنا • ومن ثم كان علينا ســـبر أغوار الوثائق والمصادر ، ودراستها بعمق علنا نحصل على رواية أو معلومة تتصل بالموضوع من قريب أو بعيد تسد احدى فجواته العديدة أو تضيف اليه جديدا • حتى استطعنا أن نكون اطارا عاما عن أهم سمات عصر هذا الملك العظيم ، وذلك من خلال السرد العام لاهم أعماله ، ومجهوداته التى قام بها فى كافة مظاهر الحيـــاة العسكرية والســـياسية والدبلوماسية ، والعمرانيـــة والتجـــارية والتشريعية والثقافية ، من أجل تحقيق وحدة الامـــة الانجليزية تحت زعامة مرسيا ، وكفالة أعلى مستوى معيشى لها ، وهذا ما حققه الملك أوفـّا بالفعل وأكدته الوثائق والمصادر • ولقد ركزنا بصفة خاصة على علاقاته بكل من البابوية وشارلمان العظيم من جهة، وعلاقاته التجارية والسياسية بالخلافة العباسية من جهة أخـــرى ، مع دراسة تحليلية لاهم انعكاسات تلك العلاقات على مسار الاحداث، ونتائجها القريبة والبعيدة على امتداد البحث •

من هذا المنطلق ، كان اختيارنا لموضوع البحث تحت عنوان : عصر أوفـّا ملك انجلترا الأنجلوساكسونى (٧٥٧ — ٧٩٦م) » ، علّه يكشف ستر غموض حقيقة هذا الملك العظيم ، ويعيد اليه حقه من التقدير والتكريم ، ويضعه فى مكانه الصحيح كواحد من أعظم ملوك أوربا العصور الوسطى من جهة ، ويضع حدا لحيرة المؤرخين الغربيين المصطنعة بكشف حقيقة السبب الذى حدا به لضرب ديناره ذى العبارات الاسلامية من جهة أخرى •

ومن الاهمية بمكان القول بأنه لولا سفرياتى المتعددة من قبل الى انجلترا وغيرها من البلدان الاوربية من جهة ، ولولا زياراتى ومراسلاتى مع العديد من المشرفين على الارشيفات الاوربية، وعلى رأسهم مسئولى المتحف البريطانى بصفة خاصة من جهة أخرى ، ما خرج هذا البحث الى حيز النور ، اذ اننى بفضل الله ، ثم بفضل هؤلاء المسئولين قد حصلت على أكثر من خمسة وتسعين فى المائة من المصادر المتصلة بالفترة الزمنية موضوع البحث بصفة خاصة، وتاريخ انجلترا على امتداد العصور الوسطى بصفة عامة ، مما أعاننى على التصدى لكافة القضايا والمشاكل التى واجهتنى على امتداد البحث، وكشف اسبابها ومسبباتها ، ومن ثم بيان أهم النتائج والاستنتاجات التى ترتبت عليها •

هذا ، وترجع أهمية البحث الى أنه يلقى الضوء لاول مرة على حقيقة تاريخ عصر الملك أوفـّا العظيم ، الذى أهمله المؤرخون ، فضلا عن أنه يضيف اليه جديدا ، ويكشف حقيقة موقفه من الاسـلام ، وفى نفس الوقت تكشف هذه الدراسة الكثير من الحقائق العلمية التى كانت خافية بين سطور الوثائق والاصول المعاصرة والمتأخرة عن الفترة الزمنية موضوع البحث (٧٥٧ — ٧٩٦م) •

وغنى عن القول أن الحوليات الانجلوساكسونية المنشورة تحت عنوان «The Anglo - Saxon Chronicle» التى كتبها عدد من الكتاب الحوليين الكنسيين الانجليز ، قد أمدتنا بفيض طيب من المعلومات والحقائق التاريخية التى أهملتها أصول أخرى • ويليها فى الاهمية مجموعات المواثيق والرسائل التى تمتاز بقيمتها العلمية الكبيرة ،

لكونها قد صدرت عن شهود عيان معاصرين للاحداث على امتداد عصر أوفَّا ، فضلا عما حصلنا عليه من غيرها من المصادر اللاتينية والانجليزية القديمة للمؤرخين أمثال : روجر أوف ويندوفر Roger of Wendover ، وروجردى هوفيدن Roger de Hoveden، ومتى أوف ويستمينستر Matthew of Westminstet وآسر Asser، وبيد Bede وغيرهم ، أكبر الأثر فى اعداد هذه الدراسة الصعبة .

هذا عن الهدف من اعداد البحث وقيمته العلمية ، ولقد قسمناه الى ثلاثة فصول ، مهدنا له بهذه المقدمة وبتحليل علمى لمختلف المصادر والمراجع من أجنبية وعربية ، وذيلناه بخاتمة ضمناها أهم الآراء والافكار والنتائج التى أمكن التوصل اليها .

والفصل الأول وعنوانه : « أوفَّا وتوحيد الأنجلوساكسون (٧٥٧ — ٧٩٦م) » . تناولنا فيه بالدراسة المركزة أحوال بريطانيا قبيل عصر الملك أوفا كمدخل طبيعى للبحث ، مما ساعد على تفهم طبيعة المناخ العام وظروف تربع أوفَّا على عرش مرسيا ونموها السياسى والاقتصادى ، وانطلاقها بقيادته للهيمنة على كافة الممالك الانجلوساكسونية ، وما ترتب على ذلك من احتكاكات وحروب طاحنة نشبت فيما بين الطرفين . وتناولنا بالتفصيل حروب أوفا التى خاضها من أجل توحيد الانجلوساكسون لاول مرة فى تاريخهم الطويل . وبالمثل ناقشنا بالدراسة التحليلية الموضوعية أسباب مصرع ايثلبرهت ملك ايست أنجليا وقطع راسه بواسطة أوفَّا ، وعللنا ذلك باتفاقه مع البابوية ضد أوفَّا للتخلص منه ، لمواقفه المعادية

للكنيسة الرومانية والعقيدة الكاثوليكية ، والتى رجحنا على ضوئها اعتناق أوفا الاسـلام • كذلك أشرنا الى بعثـة عام ٧٨٦م التى ارسلتها البابوية لاعادة تجديد العقيدة المسيحية وتثبيتها فى النفوس بعد ان تزعزعت ، وتركها الكثيرون نتيجة جهود أوفا المعادية للكنيسة والعقيدة • وأثبتنا أن ارسالها كان على عجل ، بعد أن وصلت الى مسامع البابا مواقف أوفّا المضادة للكنيسة الرومانية ، والتى هددت وجودها فى انجلترا بخطر داهم ، ولقد أكدنا هذا الرأى بالاسانيد والحجج التى حصلنا عليها من المنابع والمصادر الاصلية • كذلك تناولنا جهود أوفا الدبلوماسـية التى بذلها لضـم بعض ممالك الأنجلوساكسون الى الاتحاد الكونفيدرالى الذى أنشاه بقيادته تحت سيادة مرسيا ، وحيث أنكح ابنتيه الى كل من ايثلريد ملكنورثمبريا، وبيور هتريك ملكوسكس ،ضمانا لبقائهما داخلنطاق اتحاده السابق الذكر بفضل روابط النسب التى ربطتهما به • وأنهينا الفصل بالاشارة الى ردود فعل البابوية وشارلمان المضادة لجهود أوفّا التى بذلها لتوحيد الانجلوساكسون ، وأوضحنا تآمرهما مع أعداء أوفا للتخلص منه بسبب أعماله المضادة للكنيسة كما أسلفنا من جهة ، وموقف أوفّا من أعدائه ونتائجه من جهة أخرى •

أما الفصل الثانى وعنوانه : « أوفّا ودوره الحضارى (٧٥٧ — ٧٩٦م) » • فلقد تضمن دور الملك أوفا فى وضع نواة نهضـة انجلترا وتطورها الحضارى ، بالاشارة الى جهوده المبذولة للنهوض بالثقافة والتعليم ، فضـلا عن اصـلاحاته التشريعية والمالية ؛ واهتماماته بالتجارة وتشجيعها ، وعقده المعـاهدات التجارية مع

شارلمان والعباسيين ، وهي الأولى من نوعها في تاريخ انجلترا •
ولقد أثبتنا قوة التواجد العربي التجاري في انجلترا الأنجلوساكسونية قبل وعلى امتداد عصر أوفا ، وذلك على ضوء الوثائق والحفريات الاثرية • ثم عرجنا على كشف التغييرات التي أدخلها أوفا على العملات الأنجلوساكسونية ودلالتها ، والتي أفادتنا هي وغيرها من الأسانيد والحجج التي ذكرناها على امتداد البحث في تأكيد ما وصلنا اليه بشأن ترجيح اعتناق أوفا الاسلام • فلقد أشرنا الى تلاشى شارة الصليب من عملات السنوات الأخيرة من حكمه ، فضلا عن ضربه ديناره الذهبي المشهور ذي عبارات التوحيد الاسلامية ، كما ناقشنا كافة الآراء التي قيلت حول أسباب ضرب هذا الدينار • وأنهينا الفصل بترجيح اعتناق أوفا الاسلام ، مدعمين ما وصلنا اليه بالأسانيد والشواهد التاريخية ، والحقائق العلمية الموضوعية

والفصل الثالث والأخير عنوانه : « سور أوفا العظيم ودلالاته (٧٨٤ — ٨٩٦م) » • أشرنا فيه الى تخطيط وطبوغرافية سور أوفا العظيم الذي أقامه على حدوده مع ويلز ، وتناولنا بالمناقشة الموضوعية العلمية شتى الآراء التي قيلت في تبرير بناء أوفا لهذا السور الذي كلفه أموالا لا حصر لها ، ولقد أشرنا لأول مرة الى السبب الحقيقي لتشييد السور وتاريخ البناء ، وأيدنا ما وصلنا اليه في هذا الصدد بالحجج والأسانيد والشواهد التاريخية التي اعتصرناها من المصادر والاصول التي اعتمدنا عليها في اعداد البحث •

وأعنى أن البناء قد تم لتعويق أعوان البابوية من عبور الحدود الى مرسيا ، لاثارة النفوس وتحريض الاهالى على الثورة ضد أوفـّا ، تمهيدا لعزله لمواقفه المعادية « للكنيسة والايمان » • واستلزم الأمر الاشارة الى حروب أوفا ضد ويلز لما فى ذلك من أهمية فى كشف بعض جوانب البحث الغامضة ، وسد فجواته •

وكذلك تناولنا بالدراسة التحليلية أسباب اهمال كافة المصادر والمراجع المعنية الاشارة الى أسباب موت أوفـّا المفاجىء ، وهو يعد عدته لمهاجمة ويلز عام ٧٩٦م ، ودلالاتها ، مع الاشارة السريعة الى محاولات الملك حنا (جون) صاحب الماجناكارتا البحث عن مقبرة أوفـّا ، وبيـّنا أسباب هذه المحاولات ، وخلصنا من ذلك ، بأنها محصلة لاعجاب حنا بالملك أوفـّا ، الذى وصل حدا كبيرا لدرجة محاولته ترسم خطاه فى اعتناق الاسلام ، وأكدنا ذلك بالاشارة الى سفارته المشهورة التى أرسلها الى الخليفـة الناصر محمد الموحـدى فى الاندلس ، معلنا رغبته فى اعتناق الاسلام ودخوله وبلده وشعبه فى زمرة الموحدين ، مما أدى الى غضب البابوية واتهامها ايـّاه بالـكفر •

وأنهينا البحث بخاتمة ، أشرنا فيها الى الجديد فى الموضوع ، فضلا عن أهم الافكار والآراء ، والاستنتاجات التى توصلنا اليها •

هذا ، ولقد زودنا البحث بخريطة لانجلترا الأنجلوساكسونية تحدد الممالك السبع المشهورة الهيبتاركى،وسور أوفـّاالعظيم،فضلاعن ويلز البريطانية •كما زودنا البحثبرسمتخطيطى يوضحتسلسلنسب ملوك مرسيا على مر تاريخها بدءا بأول ملوكها بندا (٦٣٢ — ٦٥٤)، وانتهاء بآخرهـم كيولوف، (٨٢١ — ٨٢٣م) • وفوق هذا كله ،

زودنا البحث بلوحتين تمثل الاولى دينار الملك أوفا الذهبى ذى عبارات التوحيد الاسلامية ، والثانية تشير الى سور أوفّا العظيم .

وأخيرا ، اختتمنا البحث بقائمة بأسماء المصادر والمراجع التى اعتمدنا عليها فى اعداده من أجنبية وعربية .

وختما لا يسعنى الا أن أقدم عظيم شكرى وتقديرى لكل من قدم لى يد العون ، سواء فى داخل البلاد أوخارجها . والله أسأل أن يكون فى هذا البحث ما يعين على كشف ستر التعتيم التاريخى التى أسدلتها البابوية على حقيقة تاريخ أوفاً ملك انجلترا العظيم .

هذا هو مقدار جهدى العلمى المتواضع ، فان كنت قد أصبت فلى أجران ، ولله الفضل والمنة ، وان كان غير ذلك فلى أجر الاجتهاد ، وعلى الله قصد السبيل .

« وما توفيقى الا بالله ، عليه توكلت ، واليه أنيب » .

مصطفى حسن محمد الكنانى

الاسكندرية { رمضان المبارك ١٤٠٦هـ
مـــــايو ١٩٨٦م

دراســـة نقــدية تحليليـــة

لأهــم مصـــــادر البحث ومنابعه

بسم الله الرحمن الرحيم

لامـراء فى أن تاريـخ عصـر الملـك أوفا ملك انجـلترا الانجلوساكسونى يكتنفه لبس وغموض شديدان . والموضوع لم يصدر فيه حتى الآن سواء فى الشرق أو الغرب كتاب علمى مستقل قائم بذاته يتناوله من كافة جوانبه ، يضاف الى ذلك وجود العديد من الثغرات التى لم تذكرها المصادر التاريخيـة المعاصرة وغير المعاصرة على حد سواء. ولعل السبب فى ذلك يعزى الى ما اكتنف الكتابات التاريخية الخاصة بتاريخ عصر هذا الملك العظيم على امتداد فتـرته الزمنيـة (٧٥٧ — ٧٩٦م) من قصـور . حقيقـة أن هناك بعض المراجع التى تناولت بالاشارة بعض جوانب الموضوع، الا أن الثغرات لا زالت متعددة ، لان من تناولوا سيرته بالكتابة قد مروا عليها مرور الكرام ، ومن ثم كان علينا سد هذه الفجوات عن طريق المقارنات والموازنات التاريخية . وجدير بالذكر هاهنا، أن الكتابات التاريخية التى تناولت تاريخ عصر الملك أوفـا بصفة خاصة يعتورها كثيرمن الغموض والقصور ، ربما لاعتماد المؤرخين الغربيين الحديثين على شق واحد من الاصول دون الشق الاخر منه وقد يكون السبب اما لعدم المامهم بالموضوع تمام الالمام ، واما لتعمدهم اهمال هذا الجانب لتصوير الاحـداث من وجهة نظر صليبية بحتة غير منصفة . ولا شك أن تاريخ انجلترا الأنجلوساكسونية كفصـل أو بعض فصل من فصول تاريخ الغزاة البرابرة الجرمان بالمفهوم العام، قد تناولته بعض المراجع بشتى اللغات . ورغم ذلك يمكن القول بأن تاريخ عصر الملك أوفا لم يدرس بعد دراسة علمية موضوعية تاريخية

وافية ، ولازال فى حاجة ماسة الى ابحاث مستفيضة تجمع بين العلم بمصادره واصوله اللاتينية والانجليزية القديمة وغيرها من المنابع على حد سواء ، وذلك من أجل الوصول الى الحقيقة التاريخية المجردة •

والحقيقة أن كل مادون من تاريخ عصر الملك أوفا وعلاقاته بالممالك والبلدان الأخرى داخل انجلترا وخارجها ، لم يتعد بضع صفحات أو سطرا أو بعض سطر ، أو شذرات ونتف مبعثرة فى هذا المرجع أو ذاك ، مما لا يشفى من غل • ومن ثم لا تصلح أساسا لدراسة تاريخية علمية موضوعية ، اللهم باستثناء ما كتبه سير فرانك ستنتون (١) **Sir Frank Stenton** فى كتابه المشهور « انجلترا الانجلوساكسونية **«Anglo - Saxon England** وبالمثل ما كتبه هارت • س **Hart. C.** تحت عنوان : « مملكة مرسيا **« The Kingdom of Mercia »** ، وكذلك ما دونه ورمالد • ب **Wormald P.**

(١) يعتبر كتاب ستنتون (توفى عام ١٩٦٧م) أعظم ما كتب عن انجلترا الانجلوساكسونية حتى الان • وهو يتناول تاريخ قدوم الغزاة الانجلوساكسون الى انجلترا واقامتهم ممالكهم المشهورة هناك وتطورها حتى قدوم الغزاة النورمانديين بقيادة وليام الفاتح (١٠٦٦ — ١٠٨٧م) ، ولقد أفادنا على امتداد البحث • وتعزى أهميته لتضمنه العديد من المعلومات والروايات التاريخية التى حصل عليها من مصادر لم تتح لغيره من المؤرخين المعنيين • ولقد أمدنا برواية هامة أكدنا على ضوئها صحة ما وصلنا اليه بصدد وجود ثمة اتفاق تجارى وعلاقات سياسية بين أوفا والخلافة العباسية،الا أن ما يعاب عليه اعتماده مثل غيره من المؤرخين على الحدس والترجيح =

فى الفصل الخــامس من كتابه الخــاص بتاريخ الأنجلوساكسون تحت عنوان : « عصر أوفـّا وألكوين «The Age of Offa & Alcuin وفيما عدا ذلكفان تاريخ عصر الملك أوفـّا ضائع وسط زحام الصراعات السياسية والحضارية التى نشبت بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى بصفة عامة ، والتى اهتم بها المؤرخون الحديثون دون غيرها من الموضوعات المتخصصة مثل موضوع بحثنا هذا • ولعــل هذا يفسر سبب عدم كتابة أى من المؤرخين المسلمين شيئا عن تلك الحقبة من تاريخ انجلترا فى بداية العصور الوسطى ، فلقد درج هؤلاء المؤرخون على تدوين الاحداث التاريخية طبقا للنظام الحولى على امتداد الحقبة الوسيطة من التاريخ ، مما حــال بينهم وبين الاهتمام بمثل هذا الموضوع الخاص •

هذا ، ولقد زاد من تعقيد الامور ندرة الوثائق والمصـــادر المتعلقة بعصر هذا الملك العظيم من جهة ، فضلا عن ان الروايات التى أشارت اليه من قريب أو بعيد فى أى من المصادر • كان يشوبها التناقض والغموض فى كثير من الاحيان ، مما صعب مهمة الباحث فى سرد احداث الموضوع بطريقة أو بأخرى ، ورغم هذا ، فاننا بفضل الله ، ثم بفضل ما وصلنا من مادة علمية وروايات تاريخية

= دون تأييد ما وصل اليه من افكار بالحجج والاسانيد • ولعـــل ذلك مرده ضياع كافة وثائق عصر الملك أوفا • هذا ولقد اعتمدنا على الطبعة الثالثة من كتابه (١٩٧١م) التى أعيد طبعها عام ١٩٨٤م تحت عنوان :

Anglo - Saxon England, 3rd. ed., (Reprinted), Oxford, 1984.

اعتصرناها من المصادر القديمة ، فضلا عن المراجع المختلفة ، سواء ما هو مكتوب باللاتينيــة والانجليزية القديمــة ، أو بالانجليزية والفرنسية الحديثة والعربية ، قد استطعنا سد العديد من الثغرات التى واجهتنا على امتداد البحث ، بحيث أمكننا ربط الموضوع فى وحدة متكاملة متناسقة •

لقد قمنا بتصنيف مصادر البحــث الى مجموعتين رئيسيتين همــا :

أولا : مصادر شهود العيان وغيرهم من المعاصرين لاحداث الفترة الزمنية موضوع البحث •

ثانيا : المصادر السابقة للموضوع والمتأخرة عنه زمنيا •

وتأتى على قمة المجموعة الأولى الحوليات الأنجلوساكسونية التى نشرت بالانجليزية الحديثة تحت عنوان: «The Anglo Saxon Chronicle» وهى تشمل أحداث الفترة الزمنية الممتدة من عام ٦٠ ق •م حتى عام ١١٥٤م • ولقد اعتمدنا على ترجمة ج • ن جارمونسواى G. N. Garmonsway وهى بحق تعتبر أدق وأقيم التراجم التى صدرت فى هذا الصدد لأصول مخطوطات الحوليات السبع المدونة بالانجليزية القديمة ، فضــلا عن الثلاث تراجم اللاتينية الأخرى (٢) • وتعزى أهمية تلك الحوليات

(٢) نشرت تلك الترجمة تحت عنوان :
«The Anglo - Saxon Chronicle, trans. & edited by G. N. Garmonsway, London, 1972.

كذلك استعنا فى بعض جوانب البحث بترجمة أخرى للدكتورة دورثى
=

الى أنها تتضمن معلومات وروايات تاريخية هامة عن تاريخ انجلترا الأنجلوساكسونية بعامة قبل وبعد قدوم الغزاة الانجلوساكسون وغيرهم من البرابرة الجرمان الى بريطانيا منذ الغزو الرومانى لها على يد يوليوس قيصر (٥٥ق٠م — ٤٩ ق٠م) وحتى عام ١١٥٤م ٠

هذا وتبدأ الحوليات بسرد الخطوط العريضة لاحوال بريطانيا منذ الغزو الرومانى على يد يوليوس قيصر كما أسلفنا ، وما تلاه من أحداث هامة حتى نهاية النصف الاول من القرن الخامس الميلادى ٠ ويلاحظ أن أحداث تلك الفترة والسنوات التى تلتها حتى عام ٨٩١م ، قد اقتبست من الحوليات التى دونت بالانجليزية القديمة فى عصر الملك الفريد العظيم (٨٧١ — ٨٩٩م) ٠ وفيما بعد عصر الفريد يلاحظ تنوع كتابة الحوليات لتعدد الكتاب وكانوا من رؤساء الاساقفة الانجليز ٠

وثمة ملاحظة هامة ينبغى الاشارة اليها ، وهى أن كافة المخطوطات السبع قد تشابهت رواياتها التاريخية الى حد بعيد على امتداد أحداث الفترة الزمنية الممتدة منذ بداية الحوليات وحتى عام ٩١٥م ، مما أوقع المؤرخين فى حيرة ، وتضاربت الاراء حول تبرير هذا التشابه (٣) ولقد بذلت محاولات جادة لتفسير أسباب التشابه

= وايتلوك Dorothy Whitelock نشرتها فى الجزء الاول من مجموعة الوثائق التاريخية الانجليزية انظر :

E. H. D., ed. D. Whitelock, Vol. I, pp. 145 - 261.

(٣) Stenton, Sir F., Anglo - Saxon England, 3rd. ed.. Oxford, 1984, p. 688.

من جهة ، وكشف ستر الغموض الذى اكتنف رواياتها من جهـــة أخـــرى ، قا مبهـــا البروفسور شـــارلز بلمر Charles Plummer واستطاع بعد مقارنة روايات الحوليات المختلفة ببعضها ان يكشف بعض غموضها • وأشار الى ذلك فى مقدمته التى قدم بها مجموعتين من تلك الحوليات رمز اليهما بالحرفين « E »، و« A » وأصدرها فى جزأين ، صدرا فى أوكسفورد فى عامى ١٨٩٢م ، و١٨٩٩م (٤) •

لقد اشتهرت المجموعة الاولى « A » باسم حولية أو مخطوطة باركـــر Ms. Parker • ولقد رمزنا اليها على امتداد البحث باسم «The Parker Chronicle» (٥) • وتعتبر أهم الحوليات السبع على الاطلاق ، وتبدأ بأحداث عام ٦٠ ق•م وتنتهى بأحداث عام ١٠٧٠م(٦)

---

(٤) أعادت الاستاذة الدكتورة دورثى وايتلوك اصدار هاتين المجموعتين بعد اضافتها مقدمة تحليلية لكافة الحوليات السبع ، فضلا عـــن ملحق خاص حددت فيه عام بداية كتابة الحوليات • وتعزى اهمية طبعة شارلز الى انه أول من قـــارن المجموعـــة الاولى بتلك المحفوظة فى الكلية اليسوعية فى كامبردج علم ١٨٦٥م • انظر The Anglo - Saxon Chronicle, ed. Garmonsway, p. XXXIII; E. H. D., Vol, I, p. 109.

٥) نسبة الى رئيس أساقفة كانتربيورى المدعو متى باركر Matthew Parker (١٠٥٤ — ١٥٧٥م) • وللمزيد عن أهمية الحولية ، انظر : The Anglo - Saxon Chronicle, ed. Garmensway, pp. XXXII — XXXIII; E. H. D., Vol. I, pp. 109 - 110; Stenton, op. cit., p. 288 ff.

(٦) توجد المخطوطة بالمتحف البريطانى تحت عنوان : =

أما المجموعة الثانية فلقد رمز اليها بالحرف « E » وعرفت باسم Ms. Laud وعلى امتداد البحث رمزنا اليها باسم «The Laud Chronicle» ويلاحظ أن أحداثها حتى عام ١١٢١م قد كتبت بيد شخص واحد ، ثم دون عدد آخر من الكتاب الحوليين أحداث الاعوام التالية حتى عام ١١٥٤م • وتتلخص أهميتها فى أنها دون غيرها من الحوليات قد سردت تاريخ الملوك النورمانديين وأحداث عصورهم بتفصيل واف (٧) •

=

Corpus Christi College, Cambridge, Ms. No. 173, Folios 1 - 32, (60 B. C. - A. D. 1070).

جدير بالذكر ان مقدمتها قد كتبت باللاتينية ، ثم بعد ذلك بالانجليزية وتعزى أهميتها لاحتوائها على عدد من القصائد الشعرية الهامة لم يرد بعضها فى الحوليات الاخرى • ولقد كتبها عدد من الحوليين يتراوح ما بين ثلاثة عشر الى أربعة عشر كاتبا • ويعاب عليها أن أحداث أعوام ما بعدسنة ١٠٠١م غامضة المعنى وضعيفة الاسلوب ، ولقد دونت فى كنيسة كانتر بيورى • وللمزيد أنظر مصادر الحاشية السابقة رقم (٥) •

(٧) عرفت بهـذا الاسم نسـبة الى رئيس أسـاقفة دير بتربورو Beterbourough المدعو لود Laud (١٥٧٣ ـ ١٦٤٥م) • وتوجد المخطوطة الاصلية فى مكتبة بودليان Bodleian فى أوكسفورد تحت عنوان :

MS. Laud, No. 632 (A.D.I - A.D. 1154).

هذا ، ولقد نشرت الدكتورة دورثى وايتلوك هذه الحولية بصورتها الاصلية تحت عنوان :

The Beterbourough Chronicle (Early English Manuscripts in Fasamile), Copenhagen, 1954.

وللمزيد عن أهمية الحولية انظر :

The Anglo - Saxon Chranicle, ed. Garmonsway, pp. XXXIII, XXXIX - XLI, Stenton, op. cit., pp. 691 - 692.

أما بقية الحوليات فلقد نظمت فى عدة مجمـوعات كانت فى البداية ملكا للسير روبرت قطن Sir Robert Cotton، ثم آلت الى المتحف البريطانى حيث حفظت هناك تحت عنوان · The Cottonian Collections of Mss. ورمـز اليهـا بالحروف التالية « B » و « C » و « D » و « F » • وجدير بالذكر أن المجموعتين « B » و « C » تعتبران نسـختان منفصلتان تماما عن بقية المجموعات ، وتمت كتابتهما بواسطة عدد من رؤساء اساقفة دير بلدة أبينجدون Abingdon جنوب أوكسفورد (٨) •

هذا وتعد المجموعة « D » أكثر المجموعات تعقيدا ، اذ كتبها عدد ضخم من الكتاب الحوليين فى دير ورسيستر Worcester وأقدم رواياتها كتبت فى عام ١٠٥٠م ، وآخرها دونت فى بداية القرن الثانى عشر الميلادى • وتبدأ احداثها مع بداية العام الاول للميلاد وتنتهى بأحداث عام ١٠٧٦م • الا أن بها اضافات تفيد هزيمة أنجوس

---

(٨) توجد المجموعة « B » بالمتحف البريطانى تحت عنوان :
Ms. B. British Musenm, Cotton Ms. Tiberius «C» A VI, Folios 1 - 34 (A.D. — A.D. 977).

وتوجد المجموعة « C » تحت العنوان التالى :
Ms. C. British Museum, Cotton Ms. Tiberius BI, folios 115 — 164 (60 B.c — A. D. 1066). cf. The Anglo - Saxon Chronicle, ed. Garmonsway, pp. XXXVI — XXXVII; Stenton, op. cit., p. 689.

ايرل أوف موراى Angus Earl of Moray عام ١١٣٠م (٩)، ممايؤكدأن المجموعة قد دونت بعض رواياتها فى زمن ما فى بلاط سكوتلاند . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى امدتنا تلك المجموعة بمعلومات هامة عن عصر ادوارد المعـــترف Edward the Confessor (١٠٤٢ — ١٠٦٦م) ، فضلا عن ظروف قدوم الغزاة النورمانديين الى انجلترا، وما تلاها من احداث جسام (١٠) .

اما المجموعة المشار اليها بالحرف « F » ، فلقد كتبت باللغتين اللاتينية والانجليزية القديمة ، وتؤكد الروايات أنها دونت فى كاتدرائية القديس أوجســـطين فى كانتربيورى فى النصف الثانى من القرن الحادى عشر الميلادى ، ولقد كتبت نقلا عن المجموعة « E » وتعتبر اقل المجموعات أهمية (١١) .

---

(٩) تقع موراى فى سكوتلند فى منطقة جبلية وهى عاصمة مقاطعة تحمل نفس الاسم ، وكانت مساحتها آنذاك أكبر منها اليوم أنظر :
P. E. P., p. 495; D. U., , pp. 84, 578, 678.

(١٠) توجد المجموعة « D » بالمتحف البريطانى تحت عنوان :
Ms. D. (The Worcester Chronicle), British Museum, Cotton Ms. Tiberius B IV, (A. D. I - A. D. 1079) with the addition of an annal 1080 (= 1030). cf. The Anglo - Saxon Chronicle, ed. Garmonswa pp. XXXVI — XXXIX; Stenton, op. cit., p. 690.

(١١) توجد بالمتحف البريطانى تحت عنوان :
Ms. F. British Museum, Cotton Ms. Domitian A VIII (A. D. I - A. D. 1058). cf. The Anglo - Saxon Chonicle, ed. Garmonsway p. XLi; Stenton, op. cit., p 691.

هذا ، ومن الاهميـــة بمكان الاشـــــارة الى أن البروفسور جارمونسواى Garmonsway قد أشار الى وجود مجموعتين أخريين اضافة الى ما سبق ، ولقد رمز اليهما بالحرفين « H »و « I »وتتكون الاولى « H » من ورقة واحدة تشمل أحداث السنوات من عـــام ١١١٣م حتى عـــام ١١١٤م ، ويعتقد أنهـــا كتبت فى وينشيستر Wenchester بأحد الأديـــرة المقـــامة هناك (١٢) • أما الأخـــــرى فلقد دونت احداثها بكنيسة المسيح فى كانتربيورى ، وتشمل احداث السنوات الممتدة من عام ٩٨٨م حتى عام ١٢٦٨م ، ولقد ترجمت من اللاتينية والانجليزية القديمة الى الانجليزية الحديثة بواسطة جارمونسواى ونشرها لاول مرة فى ملحق خاص فى كتابه المشار اليه آنفا (١٣) •

وجدير بالذكر أن الحوليات الساكسونية قد نقلت بعض أحداثها الى اللاتينية ثلاث مرات ، وأضـــيفت اليها روايات ومعـــلومات تاريخية جديدة •ولقد تم ذلك لأول مرة بواسطة الراهب آسر Asser

---

(١٢) توجد بالمتحف البريطانى تحت عنوان :
Ms. H. British Museum, Cotton Ms. Domitian AIX (on the Single Leaf folio 9). cf. The Anglo - Saxon Chronicle, ed. Garmonsway, p. XLii.

(١٣) توجد بالمتحف البريطانى بعنوان :
Ms. I. British Museum, Cotton Ms. Caligula A XV, folios 132 b - 139. cf. The Anglo - Saxon Chronicle, ed. Garmonsway, p. XLII & Appendix A., pp. 270 - 272.

كاتب سيرة الملك ألفريد ، حيث نقل أحداث الفترة الممتدة من عام ٨٥١م حتى عام ٨٨٧م • وفى المرة الثانية أمرت ماتيلدا Matilda راهبة دير اسن Essen كاتب الحوليات ايزلويرد Aethelweard وكلاهما من أفراد البيت الحاكم فى وسكس Wessex بكتابة الأحداث منذ بداية الحوليات حتى عام ٨٩٢م ، وأضاف ايزلويرد أحداث السنوات التالية بدءا بعام ٩٨٣م وانتهاء بعام ٩٧٥م ، مما زاد من أهمية الحولية ورفع من قيمتها العلمية (١٤) •

وفى المرة الثالثة والاخيرة قام المدعو فلورانس Florance أحد رهبان دير ورسيستر Worcester (توفى عام ١١١٨م) بترجمة الحوليات ، ولقد تمت ترجمته نقلا عن عدة حوليات على رأسها حوليات المجموعة « D » ، وتعزى أهمية تلك الترجمة اللاتينية الى أنها حفظت لنا أهم سمات وتقاليد الأنجلوساكسون فى عصره ويرجح أن فلورانس قد نقل عن كبار ملاك الأراضى المجاورين للدير عادات وتقاليد الأنجلوساكسون المتوارثة والتى أمدنا بها

---

(١٤) الترجمة سيئة للغاية ، تؤكد جهل صاحبها باللاتينية وقواعدها ، وتعزى أهميتها الى أنها تؤكد اهتمام حكام وسكس باللغة اللاتينية الميلادى ، انظر : Stenton, op. cit., pp. 461, 691
كمحاولة فريدة من نوعها لاحيائها فى انجلترا فى القرن العاشر وجدير بالذكر أن الحولية نشرت باللاتينية عام ١٩٦٢ بواسطة أ • كامبل A. Campbell تحت عنوان :
The Chronicle of Aethelweard (cf. Nelson Medieval Texts, London, 1962). cf. Stenton, op. cit., p. 691.

بعد اضافتها الى الحولية المترجمة (١٥) •

مهما يكن من أمر ، فمما لاشك فيه أن تلك الحوليات قد أمدتنا بمعلومات وروايات تاريخية هامة ، أفادتنا فى سد العديد من ثغرات البحث • فلقد أفادتنا فى كشف أهم سمات عصر الملك أوفًا وتكوين اطارعام عن جهوده العسكرية والسياسية الدبلوماسية التى بذلها لاتمام بناء صرح وحدة الأمة الانجليزية • وما يعاب عليها الايجاز الشديد خاصة بالنسبة لأحداث عصر الملك أوفًا بالذات • كذلك حفظت لنا تلك الحوليات العديد من المعلومات والروايات التاريخية التى نقلتها عن أصول ضاعت فى خضم الصراعات التى سادت انجلترا فى الفترة السابقة لعصر الملك أوفًا والتالية له • مما يجعل المرء يتساءل عما اذا كان كتاب تلك الحوليات ، وكلهم كانوا من رجال الكنيسة الرومانية قد تعمدوا ذلك ، طمسا لحقيقة معالم تاريخ هذا الملك العظيم ، الذى كان يعتبر فى نظرهم ونظر البابوية من الخارجين عن الايمان الصحيح ، ومن المعادين للكنيسة •

والى جانب الحوليات الأنجلوساكسونية ، توجد مجموعة هامة من الرسائل والمواثيق ، وتعزى أهميتها الى ان من كتبوها كانوا من المعاصرين وشهود العيان للفترة موضوع البحث • وكانت

---

(١٥) طبعت تلك الحولية تحت عنوان :
Florentii Wigorniensis Monachii Chronicon ex Chronicis, ed. B. Thrope, 2 Vol., London, 1848 - 1849. cf. Stenton, op, Cit., p. 691 f.

خير سند لنا فى كشف الكثير من جوانب البحث الغامضة ، وسد العديد من الفجوات على امتداده • ونخص بالذكر منها رسالة شارلمان الى أوفا التى على ضوئها أكدنا اهتمام الاخير بالتجارة ، وعقده اول اتفاقية تجارية فى تاريخ انجلترا من جهة ، ومن جهة أخرى أكدت مدى ما وصلنا اليه عن سمو وعظم مكانة أوفا وتركه بصماته على مجريات الأحداث السياسية فى القارة الأوربية من جهة ثانية ، وتأكيد احترام شارلمان للملك أوفا ومعاملته كند مساو له من جهة ثالثة (١٦)•وهناك رسالة أخرى أرسلها شارلمان أيضا الى كل من ايزلهيرد Aethelheard رئيس أساقفة كانتربيورى ، وكيولوف Ceolwulf أسقف ليندسى ، ولقد اعتمدنا عليها فى تأكيد ما وصلنا اليه بصدد ابعاد اوفا لهما وطردهما من انجلترا لمواقفهما المعادية لسياسته ، والتى كانوا يعتبرانها « خارجة عن الايمان » وفى غير صالح الكنيسة ، وكانا قد طالبا شارلمان قبل أن تسوء علاقاته بأوفا بالتدخل لتصفية جو علاقاتهما مع الاخير ، ومن ثم سماحه لهما بالعودة الى انجلترا من منفاهما فى الخارج (١٧) •

وبالمثل استفدنا من رسالتين هامتين أرسلهما الكوين أوف يورك (١٨) Alcuin of York أرسل الأولى الى رجل دين أيرلندى

---

(١٦) cf. E. H. D., Vol. I, Doc. No. 197, pp. 848 - 49.

(١٧) cf. E. H. D., Vol. I, Doc. No. 196, pp. 847.

(١٨) ولد الكوين فى يوركشير عام ٧٣٥م ، وهو أنجلوساكسونى الأصل

=

يسمى كولكو Colcu ، يؤكد فيها شدة العداء الذى كان يكنه كل من شارلمان وأوفا لبعضهما (١٩) • أما الرسالة الثانية فلقد أرسلها ألكوين الى أحد نبلاء مرسيا المدعو أوسبرت (٢٠) Osbert ولقد أفادتنا فى ابراز اصلاحات أوفا التشريعية ، وكانت اضافة جديدة اكدت ما وصلنا اليه فى هذا الصدد ، فضلا عن ابرازها مدى المكانة التى كان يتمتع بها أوفا ، وعظم شأن انجلترا فى عصره•وهناك رسالة ثالثة ارسلها الكوين أيضا الى الملك أوفا نفسه ، ولقد افادتنا أيما افادة فى تأكيد اهتمامات أوفا العظيم بالتعليم والثقافة ، فضلا عن ابرازها مدى تقدم الامة الانجليزية الثقافى والعلمى ، وعظم الثروة التى تمتعت بها فى عصره (٢١) •

=

تعلم وعمل فى كنيسة يورك York ، وتعود شهرته الى ادارته مدرسة بلاط شارلمان (مدرسة القصر) • وكان يجيد اللاتينية والعبرية ، وعرف باتساع مداركه ودراساته الفلسفية واللاهوتيه فضلا على شغفه بالتاريخ والحساب • ترك لنا أكثر من ثلاثمائة رسالة ، تمتاز بأهميتها التاريخية والادبية يعد من أعظم النحويين الادباء فى عصره • قضى معظم حياته فى أوربا ، ومات فى كنيسة القديس مارتن أوف تور St. Martin of Tours عام ٨٠٤م • انظر :
Wormald, p., The Age of OFF & Alcuin, cf. Anglo — Saxons, ed. J. Campbell, Phaidon Press, London, 1980, Chapter IV, p. 106; D. U., pp. J. 42 — 43.

(١٩) cf. E. H. D., Vol. I, pp. 840 — 42.

(٢٠) cf. E. H. D., Vol. I, pp. 854 — 56.

(٢١) cf. E. H. D., Vol. I pp. 846 — 47.

أما مجموعة المواثيق الساكسونية التى نشرت تحت عنوان : Cartularium Saxonicum ، فتعزى أهميتها الى كونها قد كشفت لنا مدى النجاح الذى حققه الملك أوفا بصدد بسط سيطرته على الممالك الأنجلوساكسونية ، وادخالها تحت سلطانه المباشر داخل نطاق الاتحاد الكونفيدرالى الذى كونه من أجل توحيد الامة الانجليزية تحت زعامة مرسيا • هذا ، ولقد تعددت تلك المواثيق ، وتم جمعها واصدارها فى مجموعتين ، وما يهمنا المجموعة الثانية التى تضمنت المواثيق الصادرة قبل وفاة الملك ادجار Edgar ملك وسكس (٩٥٩ — ٩٧٥م) (٢٢) • وأهمية تلك المواثيق ترد فى المقام الأول ، اذ أن بعضها قد صدر باسم الملك أوفا نفسه ، فضلا عن غيره من الملوك الانجلوساكسونيين المعاصرين وغيرهم • وتشير الى الهبات والعطايا التى كانت تمنح فى صورة أراض وعقارات الى كبار رجال الدين والعلمانيين • ولقد أفادتنا أيمّا افادة فى كشف مدى اتساع نفوذ الملك أوفًا وسيطرته على كافة الممالك الاخرى من خلال اندراجها فى الاتحاد الكونفيدرالى الانجليزى الذى أقامه تحت زعامته

---

(٢٢) أصدر المجموعة الاولى ج٠م ٠ كامبل J. M. Kamble تحت عنوان :
Codex Diplomaticus Aevi Saxonici, 6 Vols., London, 1839 - 1848.
وأصدر المجموعة الثانية و٠دى٠ج ٠ برتش ٠ W. de G. Birch
ولقد تضمنت العديد من الوثائق التى لم تشر اليها مجموعة كامبل مما يؤكد أهميتها ، الا ان ما يعاب عليها عدم تمييز صاحبها بين الوثائق الاصلية والزائفة ، ونشرها دون تدقيق أو نقد ٠ ولقد نشرت تحت عنوان :
Cartularium Saxonicum, 3 Vols,. & Index, London, 1885 - 93. cf. E. H. D., Vol. I, p. 385; Stenton, op. cit., p. 702.

كذلك أفادنا الكتاب الوثائقى المنشور تحت عنوان : Councils & Ecclesiastical Documents, ed. Hadden & W. S. Stubbs, Oxford, 1871 لما احتواه من وثائق هامة ، أكدت مدى ما وصلنا اليه من شـدة العداء المتبادل فيما بين البابوية وأوفا ، وتخطيط الأخير لخلع البابا أدريان الاول (٧٧٢ — ٧٩٥م) ، فضلا عن تأكيدها وقوف شارلمان الى جانب البابا فى خندق واحد ،وتخطيطهما معا للتخلص منه«لمواقفه المعادية للكنيسة والايمان » •

ويأتى فى ختام تلك المجموعة المؤرخان الحوليان اينها رد (٢٣) Einhard ، ونوتكر المشهور بالمتلعثم (٢٤) • Notker the Stamerer

---

(٢٣) ولد اينهارد من والدين كريمين من سكان ودى نهر المين بالمانيا عام ٧٧٠م • تعـلم ودرس فى ديرفولدا Fulda • ارسله بوجولف Baugolf رئيس الدير الى شارلمان فى عام ٧٩١م لادارة مدرسـة القصر فى آخن Achen ، ومنذ ذلك الحين وحتى موت شارلمان عام ٨١٤م ظل اينهارد صديقه المقرب اليه • وكذلككانحاله مع ولده وخليفته لويس التقى • وفى عام ٨٣٠م ، اعتزل اينهارد الناس وعاش فى مدينة سيلجنستاد Seligenstadt ، وظل هناك حتى وفاته عام ٨٤٠م • ترك لنا اينهارد أربعة أعمال باللاتينية ، أهمها مصدرنا هذا تحت عنوان حياة شارلمان «Vita Carlo» فضلا عن مجموعة رسائله التى تعدت السبعين رسالة بواحدة عرفت باسم Einharti Epistolae كتبها على امتداد السنوات (٨١٤ — ٨٤٠م) • وللمزيد انظر :

Two Lives of Charlemagme, ed. L. Thrope., pp. 15 — 21.

(٢٤) عرف باسم المتلعثم بسبب سقوط اسنانه وعدم قدرته على التحـدث =

كاتبا سيرة وتاريخ شارلمان العظيم . فلقد أفادتنا كتاباتهمافي تأكيد وجود صداقة وعلاقات سياسية تجارية بين شارلمان والخلافة العباسية من جهة ، وأكدنا على ضوئها فضلا عن غيرها من المصادر والمراجع قوة علاقات أوفا التجارية والسياسية بالعباسيين ولقد اعتمدنا على ترجمة لويس ثروب Lewis Thrope طبعه لندن ١٩٧٤م والمنشورة تحت عنوان :

«Einhard & Notkar the Stamerer, Two Lives of Charlemagne».

هذا ، ومن المصادر التى اعتمدنا عليها فى اعداد بحثنا هذا ، وساعدتنا على ربط الاحداث وتسلسلها ، كتاب « زبدة التاريخ «Flors Historiarum» أو «Flowers of History» لمؤلفه

=

بطلاقة ، كما أشار هو نفسه الى ذلك ، كان من اعظم كتاب شارلمان ، كتب عنه وعن أسرته وأمجاده ، ولد بالمانيا بالقرب من بحيرة كونستانس على الحدود السويسرية حوالى عام ٨٤٠م قضى شبابه فى دير سانجيل Saint Gall البندكتى ، عمل بالتدريس ، ومات عام ٩١٢م . أمدنا بمعلومات قيمة لم يشر اليها اينهارد البتة ، حيث دون فصلا عن حصار شارلمان لمدينة بافيا Pavia عام ٧٧٣م وانتصاراته على اللونجبارديين Longbards وملكهم ديذيدريوس Desiderius ووصف المعركة بدقة متناهية . دون كتابه شارل العظيم Carlo Magno ٨٨٣ أو ٨٨٤م وأتمه عام ٨٨٧م . تناول حياة شارلمان وعاداته وحملاته العسكرية وعلاقاته بالكنيسة . انظر :

Two Lives of Charlemagne, ed. L. Thrope, pp. 21 — 29.

روجر أوف ويندوفور [٢٥] Roger of Wendover وقد تناول أحداث الفترة الممتدة من عام ٤٧٧م حتى عام ١٢٤٥م ، ورغم قلة ماذكره عن الملك أوفـًا ، الا انه قد ساعدنا بشكل كبير فى سد بعض فجوات البحث على امتداده • كما أنه هو وحده دون غيره الذى أشار الى مكان دفن الملك أوفا فى بلدة أوفلى Offley المجهولة ، ومحاولة الملك حنا (جون) صـــاحب الماجنا كـــارتا Magna Carta (١١٩٩ —

---

(٢٥) عرف روجر باسم وندوفر نسبة الى بلدة بهذا الاسم فى مقاطعة بكنجهام فى انجلترا ، عمل كاهنا مرتلا (شماس) وتدرج فى السلك الكنسى فى عهد الملك حنا حتىوصل الىدرجة رئيس ديربلفدار الملحق بدير القديس البيتى Albeney • توفى عام ١٢٣٧م • ولقد اعتمدنا على الجزء الاول من تاريخه طبعة لندن ١٨٤٩م ، ويشمل أحداث السنوات الممتدة من عام ٤٤٧م حتى عام ١١٦٩م • ولقد نشر تحت عنوان :

Roger of Wendover, Flowers of History, Comprising the History of England from the Descent of The Saxons to A. D. 1235, Formerly Ascribed to Matthew Paris, trans from the Latin by Giles J. A., Vol. I, London, 1849.

فى هذا الصدد وللمزيد انظر :

Roger of Wendover, op. cit., Vol. I, pp. V — VII.

وايضا أنظر : مصطفى حسن الكنانى : العلاقات بين جنوة والفاطميين فى الشرق الادنى (١٠٩٥ — ١١٦٧م / ٤٨٨ — ٥٦٧م) ، الاسكندرية ، ١٩٨١ ، حاشـــية ٢ ص ٢٦ — ٢٧ ، مصطفى حسن الـــكنانى : العلاقات بين جنوة والشرق الادنى الاسلامى (١١٧١ — ١٢٩١م / ٥٦٧ — ٦٩٠هـ) ، الاسكندرية ١٩٨١ حاشية ١ ص ٤٦ •

١٢١٦م / ٥٩٥ — ٦١٣هـ) البحث عن تلك المقبرة واخراج جثة أوفا لدفنه فى المكان اللائق به وأحياء ذكراه • كذلك أمدنا برواية هامة الفحوى ، اذ ذكر أن الملك حنا قد أرسل سفارة من لدنه الى الخليفة الموحدى محمد الناصر (٥٩٥ — ٦١٠هـ / ١١٩٩ —١٢١٣م) يعلن فيها استعداده لاعتناق الاســلام والدخول فى زمرة الموحــدين وادخال انجلترا تحت راية التوحيد •

والحقيقة أن هاتين الروايتين الخطيرتين لم تساعدنا فىتأكيد ما توصلنا اليه بصددترجيحاعتناق أوفاالاسلام فحسب ،بل أكدتاأيضا بما لايدع مجالا لبادرة شك صحة ما توصلنا اليه بشأن اعجاب الملك حنا الشديد بالملك أوفا وسعيه لاحياء ذكراه من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، كانتا لنا خير سند يؤكد الرأى الذى توصلنا اليه ، والخاص بترسم الملك حنا خطى أوفا فى اعتناق الاسلام ، وارساله سفارته المشهورة الى الناصر محمد الخليفة الموحدى كما اسلفنا تحقيقا لتلك الخطوة الجريئة التى لو قدر لها النجاح لتغيرت خريطة أوربا الغربية ، ولارتفعت رايا التوحيد فى عنان سمائها •

ان أى باحث مدقق ومنصف لا يشك لحظــة فى صحة هاتين الروايتين ، اذ أن روجر لم يكن مجرد شاهد عيان معاصرا للملك حنا فحسب ، بل كان صديقا حميما له أيضا ، ومن ثم ، كان علىعلم ببواطن الأمور بحكم صلته الوطيدة ومكانته القريبة من فكر حنا وعقله ، واذا علمنا أن البابوية قد اتهمت حنا بالكفر واعتبرته من الهراطقة الخارجين عن الايمان من جهة ، وسعيها لعزله واصــدار قرارات الحرمان ضده ، وتحريض النبلاء والبــارونات الانجليز

والشعب على الثورة ضده وعزله ، ومصادرة املاكه واغتصابها ، من جهة أخرى لتأكد لنا على الفور صحة رواية روجرأوف ويندوفور هذه •

ويأتى بعد روجرأوف ويندوفور فى الاهمية مصدر آخر بنفس الاسم « زبدة التاريخ«The Flowers of History»» لصاحبه المؤرخ الانجليزى متى أوف ويستيمنستر Matthew of Westmimster ،وتنتهى أحداثه فى عام ١٣٠٧م / ٧٠٧هـ • ولقد أمدنا بعدة روايات ساعدتنا في ربط الاحداث وتسلسلها على امتداد البحث (٢٦) • اضافة لما سبق أمدتنا حوليات المؤرخ روجردى هوفيدن Roger de Hoveden بمعلومات وروايات تاريخية هامة ساهمت فى سد بعض الفجوات ، وربط الاحداث (٢٧) •

(٢٦) عرف متى أوف ويستتمنستر بهذا الاســـم نسبة الى مقاطعة ويستيمنستر بانجلترا ، وكان من أشهر الرهبان البنحكتيين ، للاسف لا نعرف عنه الكثير ، الا أن شهرته قد ذاعت فى القرن الرابع عشر الميلادى•اعتمد فى كتاباته على متى الباريسى وروجر أوف وندوفور ونقل عنهما • للمزيد انظر :

Matthew of Westminster, The Flowers of History, trans. from the original by C. A. Yonge, Vol. I, (B. C. 4400 to A. D. 1066), London 1853, pp. 1 - III; cf. also:

مصطفى الكنانى : العلاقات بين جنوة والفاطميين ، حاشية ١ ص ٢٧ ، مصطفى الكنانى : العلاقات بين جنوة والشرق الادنى الاسلامى ، حاشية ٢ ص ٤٦ •

(٢٧) عرف روجردى هوفيدن بهذا الاســـم نسبة الى ضاحية هوفيدن
=

هــذا ، ولقــد أمدتنا كتــابات ســيمون أوف دورهــام Simoen of Durham بمادة علمية لا بأس بها ، ويعرف كتابه باسم « تاريــخ المــلوك «Historia Regum ولقد نشر بالانجــليزية تحت عنوان : «History of The Kings» ، ولقد اعتمدنا على ما نشرته الاستاذة الدكتورة دورثى وايتلوك D. Whitelock من هذا المصدر فى الجزء الأول من مجموعة « الوثائق التاريخية الأنجليزية (١٨)

=

Hoveden من ضواحى ايست ريدنج East Riding فى مقاطعة فىمقاطعة يورك York تولى عدة مناصبمنها أستاذالعلوماللاهوتيةفى أوكسفورد فى عصر الملك هنرى الثانى (١١٥٤ – ١١٨٩م) • تؤكد كتاباته عن احداث عام ١١٤٠م وما بعدها انه كان شاهد عيان لها • بدأ كتابة تاريخه على الارجح عم ١١٨٩م عقب وفاة هنرى الثانى• يعاب عليه الخلط بين الاحداث وتمسكه بالخرافات وايمانه الشديد بالجن والارواح الشريرة • تناول الجزء الاول من تاريخه والذى اعتمدنا عليه ،احداث السنوات الممتدة من عام ٧٣٢م حتى عام ١١٨٠م(الجزء الثانى يبدأ بأحداث عام ١١٨١م حتى عام ١٢٠١م) • يتضــمن تاريخه تاريخ انجلترا الانجلوساكسونية ، فضلا عن العديد من الرسائل الهامة المتبادلة فيما بينرجالالكنيسة وغيرهم من العلمانيين الانجليز وبين اقرانهم فى الارض المقدسة • وللاسف لا نعرف عــن تاريخ حياته الكثير وللمزيد انظر :

Roger de Hoveden, The Annals, Comprising the History, of England and other Countries of Europe from A. D. 32 to A. D. 1201, trans. from the Latin with notes & Illustrations by Henry Riley, Vol. I, (A. D. 732 - A. D. 1180), London 1853, pp. IV - VII.

(٢٨) من المؤرخين الانجليز المشهورين ، له فضل حفظ حوليات نورثمبريا Northumbria من الضياع بالاشارة اليها فى كتاباته • ولد عام

=

«E. H. D.»وما يعاب على سيمون أوف دورهام اهمال العديد من الاحداث الهامة على امتداد عصر أوفا ، واهتمامه الشديد بابراز عظمة شارلمان وغيره من كبار رجال الكنيسة الرومانية ، ولعل السبب يعزى فى أنه مثل كافة المؤرخين فعل ذلك عن عمد تنفيذا لأوامر البابوية الحاقدة على أوفا ، والكارهة له كراهتها للموت ٠

كذلك افادتنا كتابات المؤرخ الراهب الويلزى آسر Asser (٢٩) ٠ كاتب سيرة الفريد العظيم التى نشرت تحت عنوان :
Asser's «Life of Alfred» ed. W. H. Stevensen, Oxford, 1904.

=

١٠٦٠م ٠ ومات على الارجح عام ١١٣٩م ٠ اعتمدنا على الجزء الاول من كتابه (صدر تاريخه فى جزأين) ويشمل أحداث السنوات الممتدة من عام ٧٣٢م حتى عام ١٠٤٢م ٠ لذا ، فالجزء الاخير من كتابه (احداث السنوات الثلاث الاخيرة على الارجح) قد نسب اليه خطأ ٠ احتوى كتابه العديد من الروايات الهامة التى نقلها عن أصول ضاعت كما أسلفنا ، كما ثبت باليقين نقله عن كل من بيد Bede واسر Asser كاتب سيرة الفريد العظيم حتى أحداث عام٨٨٧م أما أحداث ما بعد تلك السنة ، فلقد كتبها هو بنفسه ٠ جديربالذكر اننا اعتمدنا على ما نشر من تلك الحوليات فى الجزء الاول من مجموعة « الوثائق التاريخية الانجليزية انظر : E. H. D., Vol. I, pp. 263 - 280.

فى هذا الصدد ، وللمزيد عن سيرة سيمون أوف دورهام انظر :
E. H. D., Vol. I, pp. 127, 263; D. U., p. 1797.

(٢٩) استعنا أيضا بما نشر فى « الوثائق التاريخية الانجليزية » عن سيرة الملك الفريد تحت عنوان : =

وتعزى أهمية كتاب آسر الى أنه المصدر الوحيد الذى أكد بناء أوفا لأعظم عمل انشائى أقيم فى أوربا العصور الوسطى ، وأعنى بذلك « سور أوفا » العظيم ذى الخندق المشهور باسم **Offa's Dyke** والذى أنشأه على حدوده مع ويلز **Wales** البريطانية وأثبتنا أن بناءه تم من أجل تعويق عبور أعوان البابوية الى بلاد الانجليز ، للدعاية المغرضة ضد أوفا واثارة النفوس للثورة عليه،بسبب ما قام به من أعمال «مضادةللعقيدةالمسيحية والكنيسة»، بعد مناقشة موضوعية علمية لكافة الاراء التى قيلت فى تبرير اسباب بناء السور ، فضلا عن أن بناءه يعد دليلا قويا على عظم ثروة بلاده،

=
from «Asser's life of King Alfred» cf. E. H. D., Vol. I, pp. 289 - 303.

وجدير بالذكر ان آسر كان بريطانيا من سكان ويلز ، ويرجح انه ولد عام ٨٥٠م ، ومات ٩١٠م · للاسف لا نعرف عن تاريخه الكثير · ولقد ذكر الملك الفريد أنه كان من المقربين اليه ، ولقد عمل اسر فى وظيفة أسقف مدينة شيربورن Sherborne · احتوى كتابه على العديد من الاخطاء فضلا عن استطراده فى الكتابة والاطناب مما أدى الى ضياع المعنى وغموضه · يرجح كتابته سيرة الفريدفى عام ٨٩٣م ولقد احتوى معلومات قيمة عن انجلترا الانجلوساكسونية بعامة وعصر الملك الفريد بصفة خاصة · ويرى بعض المؤرخين أن آسر استعان بكتابات اينهارد عن حياة شارلمان ، فضلا عن نقله من الحوليات الانجلوساكسونية · وللمزيد انظر :
E. H. D., Vol. I, pp. 129 - 130; D. U., p. 129.

ومدى ما تمتع به أوفا من مكانة وحب فى نفوس الانجليز ، وبالمثل كان لقوانين ألفريد أثرها فى تأكيد ما وصلنا اليه عن عظمة الملك أوفا من جانب ، واهتمامه بكفالة الأمن والأمان للتجار على اختلاف جنسياتهم فى ربوع انجلترا ضمانا لسيولة ونشاط التجارة ، ومن ثم ضمان المزيد من الرسوم المتحصلة من السلع والبضائع القادمة الى البلاد . وللأسف ضاعت تلك القوانين مثل غيرها من وثائق عصر أوفا ولولا اشادة الفريد فى مقـدمته بقوانين أوفا واعترافه باستعانته بها فى اعداد تشريعاته ، ما عرفنا عنها شيئا البتة (٣٠) .

كذلك أمدنا مصدر آخر برواية هامة أكدت ما وصلنا اليه بشأن الصراع الذى نشب بين أوفا وشارلمان ، وقرار الأخير بمنع التجار الانجليز من التجارة فى موانى ومدن بلاده من جهة، وكراهيته الشديدة لاوفا وتخطيطه مع البابوية للتخلص منه بسبب اعتناقه الاسلام من جهة أخرى . ولقد استعنت بما نشر فى هذا الصدد تحت عنوان « أعمال رؤساء اساقفة فونتنى« Acts of the Abbots of Fontenelle » (St. Wandrille) (٣١) .

---

(٣٠) عن تلك القوانين انظر E. H. D., Vol. I, pp. 407 - 416

(٣١) وردت تلك الرواية فى الحولية المذكورة عاليه ، ولقد كتبها عدد من رؤساء أساقفة دير فونتنى أو دير القديس فاندرى (St. Wandrille) ولقد عرف الدير باسم صاحبه الذى بناه ، وكان من طبقة النبلاء ، ولقد ولد فى مدينة فردان Verdan بفرنسا عام ٦٢٩م ومات عام ٦٦٦م . ولقد نشرت تلك الحولية كاملة بواسطة ف. لوهير ، و. ج

هذا ، واذا كنا قد تناولنا بالتحليل والدراسة مصادر المؤرخين المعاصرين وشهود العيان للفترة الزمنية موضوع البحث وغيرهم من المؤرخين المتأخرين زمنيا • يجب الاشارة هاهنا الى بعض الأصول السابقة لعصر الملك أوفا ، التى كانت لها أهميتها فى كشف ظروف قدوم الغزاة الانجلوساكسون ونجاحهم فى السيطرة على بريطانيا واقامتهم مما لكهم السبع المشهورة باسم الهبتاركى ، وبالتالى كشفت لنا ظروف تربع الملك أوفا على عرش مرسيا 'MERCIA'، وحيث انطلق بعدها ليحقق أسمى آماله بتوحيد الأمة الانجليزية تحت زعامته ، وما تبع ذلك من أحداث تركت بصماتها على امتداد الفترة الزمنية للبحث (٧٥٧ — ٧٩٦م) •

ونخص بالذكر من هذه المصادر كتاب « بيد Bede » (٣٢)، ولقد اعتمدنا على الترجمة الانجليزية له التى نشرت تحت عنوان :

= لابورت F. Lohier & J. Laporte تحت عنوان :
Gesta Sanctorum Patrum Fontenellensis, Societe de L'Historie de Normandie (Rouen & Paris, 1963), cf. E. H. D., Vol. I, p. 341 cf. Also: D. U., p. 675; p. E. P., p. 78.

(٣٢) ولد « بيد «Bede» ، أو « بيـدا «Beada» ، عام ٦٧٣م فى مدينة ويرموث Wearmouth بكونتية دورهام Durham بانجلترا ، وتقع على نهروير Wear على بعد أربعة عشر كيلومترا جنوبى نيوكاسل Newcastle . أرسله والده وهو فى السابعة من عمره الى بندكت رئيس الرهبان لتربيته وتعليمه ، وفى عام ٦٨٢م انتقل بيد الى دير القديس بول St. Paul فى جارو Jarrow حيث أشرف على تعليمه كيولفريد Ceolfred
=

«تاريخ الكنيسة والشعب الانجليزى «A History of the English church and people» ولقد أمدنا المصدر بمعلومات قيمة للغاية عن أحوال قدوم الغزاة الانجلوساكسون ، وأسباب وظروف قدومهم والنتائج التى ترتبت عليه ، والتى كان من المحتم علينا الاستعانة بأهم خطوطها العريضة كمدخل طبيعى للموضوع ، انطلقنا عبره الى عصر أوفّا موضوع البحث الرئيسى •

وتأتى بعد « بيد » فى الأهمية كتابات المؤرخ جوفرى أوف مونموث Geoffrey of Monmouth ، ولقد اعتمدنا على الترجمة الانجليزية تحت عنوان : « تاريخ ملوك بريطانيا «The History of the Kings of Britain ، ويتضمن المصدر معلومات قيمة عن أحوال ما قبل عصر أوفّا ، أفادتنا مثل كتابات بيد فى تفهم أحوال

كبير الاساقفة ، وظل هناك حتى وفاته عام ٨٣٥م • تدرج بيد فى الوظائف الكنسية حتى مرتبة القس ، ولنبوغه كان يعفى من شرط السن عند الترقى للوظيفة الاعلى • هذا ، وفى عام ١٠٢٠م نقلت رفاته الى كنيسة دورهام الرئيسية حيث دفن بجوار القديس جوثبرت St. Guthbert وللمزيد انظر :

Bede, A History of the English Church and people, trans, with an introduction by Sherely leo Price, London, 1968, pp. 15 - 21; E.H. D., Vol. I, pp. 639 - 40; cf. also: P. E. P., p. 231; D. U.., p.2037;

جدير بالذكر أننا اعتمدنا أيضا على طبعة دورثى وايتلوك انظر •
Bede's «Eccelesiastical History of the English Nation», cf. E. H. D., Vol. I, pp. 639 - 747.

الأنجلوساكسون وظروف قدومهم الى بريطانيا ونتائجه . الا ان المؤرخ يعاب عليه كراهيته الشديدة للانجلوساكسون وتعصبه الأعمى للبريطانيين ، فضلا عن تعمده عدم الاشارة من قريب أو بعيد الى الملك أوفا كدأب غيره من المؤرخين (٣٣) . هذا ولقد أفادتنا أيضا حولية مؤرخ مجهول Anonymous ، نشرت تحت عنوان « تتمة بيد The Continuation of Bede » أو ان صح لى التعبير « ذيل تاريخ بيد » ، حيث حصلنا منها على معلومات طيبة كشفت لنا ظروف تولية

---

(٣٣) عرف بهذا الاسم نسبه الى مونموث Monmouth فى ويلز Wales وتقع عند التقاء رافدى نهر واى Wye ومونو Monnow . تدرج فى السلك الكنسى حتى وظيفة قس فى وستيمنستر Westminster ذكر أن هدفه من الكتابة احياء ذكرى وتاريخ ملوك بريطانيا ، وتتبع اصول البريطانيين على امتداد الف وتسعمائة سنة تقريبا . بدأ تاريخه بالاشارة الى البطل الاسطورى القرطاجنى بروتوس Brutus وظروف قدومه ورفاقة الى جزيرة ألبيون Albion التى عرفت فيما بعد باسم بريطانيا Britain نسبة اليه ، حدث ذلك فى القرن الثانى عشر قبل الميلاد حسبما ذكر جوفرى فى روايته . ولقد أنهى كتاباته بسرد تاريخ آخر ملوك بريطانيا كادويللادر Cadwellader (ت . عام ٦٨٩م) ، وأسباب اجتياح الغزاة الانجلوساكسون بريطانيا ونتائجه . فى هذا الصدد وللمزيد انظر :

Geoffrey of Monmouth, The History of the Kings of Britain, trans. with an introduction by Lewis Thrope, London, 1978, pp. 9 - 35.

أوفّا عرش مرسيا عقب مصرع ابن عمه ايزلبالد عام ٧٥٧م (٣٤) .

ومن الاهمية بمكان الاشارة هاهنا الى أننا لم نجد فى المصادر الاسلامية ما يشير من قريب أو بعيد الى موضوع البحث . لكننا رجعنا الى كتابى « نهاية الأرب فى فنون الأدب » ، والترغيب والترهيب » لكل من النويرى (٣٥) (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م) والمنذرى (ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) (٣٦) على التوالى ، ولقد أكدا الرأى الذى وصلنا اليه ، والخاص بوصول فكرة اعتناق الاسلام الى مسامع الملك أوفا عن طريق أى من مبعوثى الخلافة العباسية الذين قدموا لعقد الاتفاقيات التجارية معه ، أو عن طريق التجار المسلمين الذين أكدنا كثافة تواجدهم فى انجلترا فى تلك الاونة وذلك ترسما لخطى جعفر

---

(٣٤) تشمل الحولية أحداث انجلترا من عام ٧٣٥م حتى ٧٦١م . وباضافتها الى حولية سيمون أوف دورهام (٧٣٢ ـ ١٠٤٢م) فانهما يكونان معا أهم مصادر القرن الثامن الميلادى فى انجلترا : انظر :
E. H. D., Vol. I, pp. 285 - 86.

(٣٥) النويرى الكنـــدى (ت ٨٣٢هـ / ١٣٣٢م) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب : نهاية الأرب فى فنون الأدب ، وزارة الثقافة والارشاد ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، الجزء الثامن عشر ، القاهرة ١٩٥٤م .

(٣٦) المنذرى (ت ٦٥٦هـ /١٢٥٨م) ذكى الدين عبد العظيم بن عبدالقوى: « الترغيب والترهيب » اصدار مكتبة الدعوة الاسلامية وشباب الازهر) ، جـ٢ ، القاهرة (بدون تاريخ) .

ابن أبى طالب رضى الله عنه ، الذى نجح فى اقناع النجاشى ملك الحبشة باعتناق الاسلام من جهة، وتشبها بدور التجار الدعاة والمبعوثين المسلمين فى نشر الاسلام فى جزر وبلاد جنوبى شرق آسيا ، وشرق وغرب ووسط افريقيا من جهة أخرى . ولا شك فى صحة ذلك الرأى ، اذ أن الاسلام رسالة عالمية بدليل قوله تعالى لرسوله الكريم « قل يأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والارض، لا اله الا هو يحيى ويميت، فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته ، واتبعوه لعلكم تهتدون » (الاعراف :١٥٨) .

هذا عن أهم المراجع من المصادر الأصلية المعاصرة للفترة الزمنية موضوع البحث والسابقة عليها والمتأخرة عنها زمنيا . أما عن المراجع الثانوية فهى بدورها تنقسم الى قسمين ، أجنبية وعربية . ولاشك أنهـا قد احتوت العديد من الافكار والاراء التى أفادتنا فى بعض جوانب البحث . ولقد اتفقنا مع بعض ما جاء بها من آراء ، وخالفناها فى كثير من الاحيان ، مدعمين وجهة نظرنا بما حصلنا عليه من حجج وأسانيد اعتصرناها من المنابع والاصول . كما اضفنا العديد من المعلومات الجديدة اعتمادا على ما من به الله تعالى علينا من معلومات استقيناها من المواثيق والمصادر التى حصلنا عليها من الخارج .

هذه دراسة تحليلية نقدية لاهم مصادر البحث ومنابعه ، والتى حصلنا منها على مادة البحث ، وجدير بالذكر فى هذا الصدد ، أن كافة المصادر والمراجع وغيرها من دوائر المعارف والمعاجم العالمية

المتخصصة ، لم تشر من قريب أو بعيد الى مفهوم ودلالات عبــارة التوحيد الاسلامية المنقوشة على دينار أوفـًا الذهبى ، ناهيك عنضياع كافة وثائق عصره ولا شك فى ان هذا يعزى فى المقام الاول والاخير الى اوامر البابوية والكنيسة لطمس معالم تاريخه الحقيقية ، بسبب اعتناقه الاسلام ، وحتى لا يظهر من يحتذى حذوه فى هذا الصدد ، ولعل ذلك يفسر سبب التخلص من أوفا بعد وفاته بدفنه فى مكان مجهول داخل مبنى متواضع لا يليق بمكانته كواحد من اعظم الملوك فى اوربا العصور الوسطى على وجه الاطلاق . والحمد لله من قبل ومن بعد .

بسم الله الرحمن الرحيم

« ولكل أمـــة أجل ، فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ســـــاعة ، ولا يستقدمون »

(الاعراف : ٣٤)

الفصل الأول

أوفـــا وتوحيد ممالك الأنجلوساكسون

٧٥٧ — ٧٩٦م

— أحوال بريطانيا قبيل عصر أوفا ، وظروف توليته عرش مرسيا عام ٧٥٧م .

— حـروب أوفا وجهـوده الدبلوماسـية لتوحيد ممـالك الأنجلوساكسون ، ونتائجها .

— بعثة البابا أدريان الاول الى انجلترا عام ٧٨٦م ، أسبابها ونتائجها .

— مصرع ايثلبرهت ملك ايست أنجليا ، وذبحه على يد أوفا عام ٧٩٤م ، دلالاته ونتائجه .

— ردود فعل البابوية وشارلمان المضادة لسـياسة أوفا . أسبابها ونتائجها .

بادىء ذى بدء ، ولكى نتفهم حقيقة عصر الملك أوفا وأهم أعماله التى قام بها أجل توحيد ممالك الأنجلوساكسون ورفعة شأنها ، وما هيتها وخصائصها ، فضلا عن نتائجها القريبة والبعيدة ، ينبغى الاشارة باختصار الى أسباب قدوم الغزاة البرابرة الأنجلوساكسون الى الجزيرة البريطانية ، وما تلا قدومهم من أحداث أدت الى انتزائهم بالبلاد واقامة ممالكهم بها ، وذلك كمدخل طبيعى لتفهم ظروف تولية الملك أوفا عرش مرسيا ، وما ترتب على ذلك من انطلاقه عبرها للهيمنة على كافة الممالك الانجلوساكسونية ، وتوحيدها لأول مرة فى التاريخ • هذا من جهة ، ومن جهة أخرى، كشف ماواكب تلك الانطلاقة من أحداث تمخضت عنها نتائج هامة مست الموضوع مسا مباشرا وأثرت على مجريات الامور على امتداد البحث •

اذا عدنا قليلا الى الوراء ، لنلقى نظرة عامة على مسرح الأحداث ، نجد أن بريطانيا على امتداد الفترة الزمنية الممتدة من منتصف القرن الرابع الميلادى حتى منتصف القرن السادس الميلادى، قد تعرضت لاول دفعة من الغزاة الجرمان ، الذين اصطلح المؤرخون على تعريفهم باسم الانجلوساكسون **Anglo-Saxons** أو الساكسون **Saxons** ، وهم عبارة عن خليط تكون من ثلاث مجموعات بشرية رئيسية اندمجت معا تحت أى من التسميتين السابقتين ، وهى :

الساكسون **Saxons** ، والانجلز **Angles** ، والجوت **Jutes**

وكانت تلك الجماعات بعد اندماجها معا قد غزت الجزيرة البريطانية

دون مقاومة تذكر من البريطانيين (أى البريتونيين Britons) سكان الجزيرة الاصليين ، والذين بعد أن فشلوا فى مواجهة هؤلاء الغزاة وهزموا على أيديهم مرارا ، هربوا انقاذا لحياتهم الى قمم الجبال والغابات الكثيفة ، ثم اتجهوا أخيرا الى ناحية الغرب حيث استقروا فى ويلز Wales التى اتخذوها مستقرا لهم ومقاما (١) •

---

(١) قدم الغزاة الانجلوساكسون من حول مناطق بحر الشمال : جوتلاند Jutland وبلاد الدانمرك ، والمنطقة الممتدة جنوبها بعامة ، وألمانيا بصفة خاصة • ولقد أشارت الحوليات لتعرض بريطانيا الى غزوات جماعتى البكتيين Picts ، والسكوتلانديين Scots والجماعتان من سكان كالدونيا القديمة Caldonia (سكوتلاند) وهم الايرلنديون والسكوتلانديون • حدث ذلك فى أواخر النصف الاول للقرن الخامس الميلادى عقب انسحاب الرومان من بريطانيا (٤٤٢م تقريبا) • ولقد استدعى الطاغية فورتيجرن Vortigern ملك بريطانيا (٤٤٥ ـ ٤٨٥ تقريبا) البرابرة الساكسون لمساعدته ضد الغزاة البكتيين والسكوتلانديين الذين اكتسحوا البلاد من الغرب والشمال ، وبالفعل قدم الساكسون وخلصوا بريطانيا من أخطار الغزاة ، وكان جزاؤهم العديد من المنح والعطايا فى شكل أرض وعقارات • وسرعان ما تحول الحلفاء الى أعـــداء ، واجتاح الساكسون الجزيرة ، وهزموا البريطانيين الذين استقروا أخيرا فى ويلز غربا كما أسلفنا عاليه • ومنذ ذلك الحين فصاعدا عرفت بريطانيا باســـم انجلترا نســـبة الى الانجلز (أو الانجليز) Angles هذا ، وجدير بالذكر أننا نعنى بلفظتى (الانجليز) =

هذا ، وبعد صراع مرير نشب فيما بين زعماء هؤلاء الغزاة آستقلت كل جماعة منهم مكونة مملكة خاصة بها ، ومن ثم تكونت سبع ممالك رئيسية ، عـرفت باسم الممالك السـبع أو الهيبتاركى Hiptarchy ، وهى : وسكس Wessex ، وسسكس Sussex واسكس Essex وايست أنجليا (أنجليا الشرقية) East Anglia

---

=

و « انجلترا » على امتداد البحث ، عبارتى (جماعات الانجلوساكسون) (وبريطانيا) بعد قدوم الانجلوساكسون على التوالى ، حيث درج المؤرخون على استخدامهمـــا بنفس المعنيين بعد قدوم البرابرة الجرمان الانجلوساكسون الى الجزيرة البريطانية فى هذا الصدد وللمزيد أنظر :

Bede, The History of the English Church & People, trans. by Leo Sherley, London 1968, pp. 34, 38f., 51 - 58, 92 f., 108; Bede, Ecclesiastical History of the English Nations», cf. E. H. D., Vol. I, p. 645 f.; Geoffrey of Monmouth, The History of the Kings of Britain, pp. 54, 123 - 128, 144 - 147, 155 - 166, 186 - 204, 209 ff.; Roger of Wendover, Op. Cit., Vol. I, p. 53. cf. also: Stenton, Sir F., Anglo - Saxon England, 3ed., London 1984, p. 1 ff.; Fisher, H. A. L., A History of Europe, London 1937, p. 122ff,; D. U., pp. 81, 849 f., 881, 9736, 2028; p. E. p., pp. 136, 375; cf. also.

سعداوى : المرجع السابق ، ص ٢٧ ــ ٣٣ ، راوس (١٠ل٠) · التاريخ الانجليزى ، نقله الى العربية د٠ محمد مصطفى زيـادة ، القاهرة ١٩٤٦ ، ص ١٥ ــ ٢٧ ، محمد مرسى الشيخ : الممالك الجرمانية فى أوربا العصور الوسطى ، الاسكندرية ١٩٧٥ ، ص ٢٢٠ ــ ٢٢٥ ، ديفز (هـ٠و٠) : أوربا فى العصور الوسطى ، ترجمة د٠ عبد الحميد حمدى محمود ، الاسكندرية ١٩٥٨ ، ص ٣٢ ·

ومرســـــيا Mercia ، ونورثمبريا Northumbria ، وكنت (٢) Kent . ولقد آلت الزعامة على تلك الممالك فى بداية الامر الى كنـــت Kent ، ثم انتقلت الى نورثمبريا Northumbria وأخـــيراً هيمنت مرسيا Mercia ، على الامور ، ودان لها الجميـــع بالولاء والطاعة . وفى عهد أعظم ملوكها أوفا Offa (٧٥٧ — ٧٩٦م) سيطرت مملكة مرسيا على كافة انجلترا المعروفة اليوم ، فاستحق أوفا بجدارة لقبى « ملك انجلترا Rex Anglorum » و « ملك كل بلاد الانجليز Rex totius Anglorum Patriae ، فضلا عن لقب « ملك مرسيا العظيم » (٣) .

---

(٢) اختص الساكسون بالممالك الثلاث الاولى ، وكلها فى الجنوب تقريبا أما الثلاث التاليات فقد كانت من نصيب الانجلز ، وتقع نورثمبريا فى الشمال ، ومرسيا فى الوسط ، وأنجليا الشرقية فى الشرق . أما الجوت فقد استقلوا بالمملكة الاخيرة وهى فى الجنوب أيضا . وجدير بالذكر أن الساكسون قد حكموا ممالكهم طبقا لحق الانتساب للآلهة الجرمانية الوثنية بعامة ، والى الاله ودن Woden اله الحرب والملاحم بصفة خاصة . انظر

cf. Bede, op. cit., p. 56; E. H. D., pp. 10 - 22; D. U. p. 865; Sh Camb, Med. Hist., vol. I, p. 168 ff.; Fisher, op. cit., pp. 123, 177; p. E. P., pp. 223, 250, 338, 534, 707, 800; cf. also:

راوس : السابق ، ص ٢١ ، سعداوى : السابق ، ص ٣٧ — ٤٥
ديفز : السابق ، ص ٣٢ .

(٣) Cart. Sax., Nos. 208, 213 - 214.

=

ومن الاهمية بمكان الاشارة الى أن مملكة مرسيا (٤) على امتداد الثلاثة أرباع الاولى للقرن السابع الميلادى كانت مجرد دويلة لاحول لها ولاقوة ، مندرجة فى الاتحاد الكونفيدرالى الذى يضم الممالك الانجليزية الواقعة جنوبى نهر الهمبر **Humber** تحت زعامة ايزلبرت **Eathelbert** ملك كنت (ت ٠ ٦١٦م) ٠ والثابت أن ملوك مرسيا السبعة الاول لم يستكينوا وظلوا يخططون لتدعيم استقلال مرسيا والنهوض بها ، بتنشيط التجارة وتشجيع الزراعة والصناعة ، مستغلين موقع مرسيا التجارى الهام ، لكونه مركز اتصالات له أهميتة فى وسط انجلترا ٠ لقد تم ذلك بداء بعصر الملك بندا **Penda** (٦٣٢ — ٦٥٤هـ) ، ومرورا بعصور كل من الملوك : بيدا **Peada** (٦٥٤ — ٦٥٦م) ، وولفهــير **Wulfhere** (٦٥٧ — ٦٧٤م) ، وايزلريد **Ethelred** (٦٧٤ — ٧٠٤م) ، وكوينرد **Coenred** (٧٠٤

=

Letter of Charles the Great to Offa King of Mercia (796), cf. E. H. D., Doc. No. 197, p. 848f.; cf. also: Brondsted, J., The Vikings, London 1975, p. 16f.; Ch. E., vol. X, p. 194.

(٤) يقال ان اسم مرسيا « Mercia » مشتق من الاسم القبلى Mierce أو هو تحريف له ، ومعناه شعب أو سكان الحدود ٠ وتذكر الروايات أن سكان مرسيا فى القرن السابع وحتى نهاية النصف الاول من القرن الثامن الميلادى كان يقدر عددهم بحوالى اثنى عشر ألف اسرة : تعيش سبعة الاف أسرة منهم فى المنطقة الممتدة شمال نهر الترنت The Trent أما الاسر الاخرى فكانت تعيش جنوبى النهر نفسه ٠ هذا ومرسيا اليــوم تمثلها تقريبا المقاطعـــات والمناطق الاتية :

=

— ٧٠٩م) ، وكيولرد Ceolred (٧٠٩ — ٧١٦) ، وانتهاء بعصر الملك ايزلبالد Eathelbald (٧١٦ — ٧٥٧) ، (٥) .

= ستافورد شاير Staffordshire ، ودربى شاير Derbyshire نوتنجهام شاير Nottinghamshire ، والمنطقة الواقعة شمال كل من مقاطعتى ورويك شاير Warwickshire ، وليسسترشاير Lecistershire انظـــر :

Bede, op. cit., p. 185; also: Stenton, op. cit., pp. 38 - 42; Hart, C., The Kingdom of Mescia, cf., Mercian Studies, ed. Dornier, Leicester, 1977, pp. 47, 49; Sh Camb, Med. Hist., vol. I., p. 179; p. E. p., p. 482; E. B., vol. VI, p. 800.

(٥) يعتبر بندا (٦٣٢م — ٦٥٤م) المؤسس الحقيقى لملكة مرسيا ، ولقد أشادت ببطولته قصص البطولة الجرمانية Germanic Saga وأبرزت استبساله فى الدفاع عن مرسيا حتى الموت عام ٦٥٤م . وبموته خلفه ولده « بيدا » الذى اغتيل بتدبير من زوجته عـــام ٦٥٦م ، وخلفه على العرش شقيقه « ولفهير » لمدة سبع عشــرة سنة ، ثم شقيقه « ايزلريد » الذى اعتزل العرش بعد حكم استمر ثلاثين سنة ، تفرغ بعدها للعبادة فى دير ليندسى Lendsey وتولى بعده « كوينرد » ابن أخيه « ولفهير » الذى اعتزل بدوره العرش عام ٧٠٩م ، فخلفه « كيولريد » أحد أبناء ايزليرد المذكور آنفا ، وكان شابا فاسقا خميرا ، وبموته انقطعت سلالة أسرة بندا مؤسس الملكة . ولقد خلفه على العرش « ايزلبالد » حفيد المدعو « ايوا Eawe شقيق بندا ، وكان ايزلبالد يعيش فى المنفى ، ثم عاد عقب موت كيولريد وتولى الحكم . هذا وبعد جهود وحروب شرسة بينه وبين مملكتى وسكس وكنت ، اخضع ايزلبالد المملكتين =

هذا ، ويعتبر الملك ايزلبالد واضع اللبنة الاولى فى صرح وحدة الأنجلوساكسون أو الأمـــة الانجليزية ــ ان جاز لى التعبير تحت سيادة مرسيا ، فعلى امتداد عصره الطويل نسبيا (٤١ سنة) خاض حروبا طاحنة فى هذا السبيل ، وكانت المحصلة أن دبرت مؤامرة أودت بحياته غدرا عام ٧٥٧م ، بعد أن كان قد نجح فى ضم كل من مملكتى وسكس وكنت ، فضلا عن الاراضى الواقعـــة فيما بين نهر الهمبر والقنال الانجليزى فى اتحاد كونفيدرالى مع مرسيا برئاسته ، واعترف به ملوكها برتوالدا Bertwalda أى حاكما

=

وضمهما فى اتحاد كونفيدرالى بالاضافة الى غيرهما من الاراضى تحت زعامته منتهزا فرصة موت ملك كنت ويهتريد Wihtred (٧٢٥م) ، وتنازل ملك وسكس اين Ine عن العرش (٧٢٦م) ، واضعا بذلك النواة الاولى لوحدة الامة الانجليزية التى أتمها أوفا من بعده كما سنوضحه بالتفصيل فيما بعد · انظر
Bede, op. cit., pp. 158, 176, 177, 185 201, 207f., 212, 226., 243: 248, 305, 312, 334f.; Bede, op. cit., cf. E. H. D., Vol. I, pp. 690 - 95, 705f.; The Laud Chronicle, cf. The Anglo-Saxon Chronicle, trans. & ed. by G. N. Garmonsway, London 1977, p. 40; The Parker Chronicle,cf. The Anglo-Saxon Chronicle, trans. & ed. by G. N. Garmonsway, London 1977, p. 40; The Anglo-Saxon chronicle, cf. E. H. D, vol. I, p. 176 f. & the notes; cf. also: Stenton, op. cit. pp. 203, 230; Wilson, D. The Anglo-Saxon, London 1972, pp. 30 - 31.

لانجلترا (٦) • وهكذا مهد ايزلبالد الطريق أمام ابن عمه وخليفته الملك أوفــّا لاتمام بناء صرح وحدة الامة الانجليزية ، ولقد نجح فى هذا الصدد أيـّما نجاح ، كما سنوضحه بالتفصيل فى حينه •

---

(٦) اغتيل ايزلبالد بواسطه احد حراسه الخصوصيين اثناء نومه ليلا فى مدينة سيكنجتون Sekangton بالقرب من تامورث Tamworth ودفن فى ريبتون • ولقد اختلفت الاراء حول أسباب مصرعه ،فالمؤرخ ستنتون Stenton يعزى موته الى بطشه وجبروته ، مما أغضب المحيطين به ، وقرروا قتله • وهناك رأى أخر نميل الى الاخذ به لاتفاقه والاحداث ، واعنى ماذكره المؤرخ روجر هوفيدن ، ومؤداه أن ملك وسكس المدعو جوثريد Guthred (ت• اواخر عام ٧٥٦م) قد تأمر مع بيورنرد للتخلص من ايزلبالد مقابل عرش مرسيا فقام الاخير بقطع رأس ايزلبالد وتولى العرش بالفعل • فكان أن نشبت الحرب الاهلية ، واعتلى أوفا العرش بعد فرار بيورنرد خارج البلاد • فى هذا الصدد ، وللمزيد انظر :

The Parker Chronislc, pp. 46 - 47; N. 5; The Laud Chronicle, pp., 49 - 59; Roger de Hoveden, The Annales, The History of England and other Countries in Europe, from A. D. 732 to A. D. 201, Trans. from the Latin with notes & Illustrations by Henry T. Riley, London 1885, vol, I, pp. 2 - 5 & n. 20, p. 5f.; Simeon of Durham, «Historia Regum» (History of the Kings), cf. E. H. D., vol. I, p. 266; Anonymous, The Continuation of Bede, cf. E. H. D., vol. I, p. 286 & n. 2;

The Anglo-Saxon Chronicle, cf, E. H. D., vol. p. 176f., & The notes; cf. also. Stenton, op. cit., p. 204f.; Wilson, op. cit., p. 30 f.; Sh. Camb, Med. Hist .,vol. I, p. 179 f.

مهما يكن من أمر ، فعقب مصرع ايزلبالد تفككت عرى روابط الاتحـــاد الكونفيـدرالى الآنف الذكر ، واغتصــب بيورنرد Beornerd المجهول النسب العرش . لذا ، ولعدم نجاحه فى تأكيد صحة نسبه الملكى الى الاله الجرمانى ودون Woden حسبما هو متبع عند تولية الملوك الانجلوساكسون العرش طبقا للعرف السائد عندهم ، ثار المرسيون Mercians ضد بيورنرد بزعامة أوفـا ، وأستعرت نيران الحرب الاهلية فى مرسيا ، وكانت المحصلة انتصار أوفـا وفرار بيورنرد ، وتربع الأول على عرش المملكة قبل نهاية عام ٧٥٧ (٧) ، واضعا بذلك الخطوط الاولى لبداية تاريخ عظمــة ونهضة انجلترا ، ليس فى العصور الوسطى فحسب ، بل وعلى امتداد عصر النهضة وبداية العصر الحديث أيضا .

هذا ، وبعد تولية أوفا أمور مرسيا كما أسلفنا ، وعلى امتداد السنوات السبع التى تلت توليته العرش (٧٥٧ — ٧٦٤م) سعى أوفا جاهدا لرأب الصدع الذى أصاب وحدة شعب مرسيا ، والذى تمخض عن الحرب الاهلية التى نشبت عقب مصرع ايزلبالد . ولقد استعد الملك أوفا بعد ذلك عسكريا من أجل اخضاع باقى الممالك وتوحيدها تحت سلطان مرسيا ، بادئا أولى خطوات سياسته التوسعية

---

(٧) The Laud Chronicle, p. 49.; The Parker Chronicle, pp. 46, 50; cf. also: Stenton, op. cit., p. 203 cf. also: Note N. 6 the above mentioned before.

تلك بغزو مملكة كنت عقابا لها على خروجها عن سلطان مرسيا ، منتهزة فرصة نشوب الحرب الاهلية التى عمت مرسيا عقب مصرع ايزلبالد كما أوضحنا من قبل •

مهما يكن من أمر ، فلقد أشارت المصادر الى أن أوفا بعد أن نظم قواته العسكرية وحشدها ، خرج بحده وحديده ، فهاجم كنت Kent وأعادها الى سلطانه داخل اتحاده الكونفيدرالى الجديد عام ٧٦٤م • فهناك وثيقة تؤكد ظهور الملك أوفا فى كانتربيورى Canterbury عاصمة كنت فى النصف الثانى من عام ٧٦٤م بصحبة كل من هيهبرهت Heahberhet ملك كنت ، ورئيس اساقفتها ، حيث أصدر أوامره بمنح اقطاعية الى أسقف فريندزبيورى Frindsbury وكانت تلك الاقطاعية ذاتها قد منحها ملك كنت من قبل الى أسقف روتشيستر Rochester عام ٧٦٢م ، وقد أشارت الوثائق مرة ثانية الى منح أوفا نفس القطعة الى أسقف فريندزبيورى الآنف الذكر فى بداية عام ٧٦٤م (٨) ، مما يؤكد خضوع كنت لسلطان أوفا المباشر قبل نهاية عام ٧٦٤م ، وظلت هكذا حتى نهاية عام ٧٧٤م• ففى تلك السنة ثار الكنتيون ضد مرسيا ، وانتصروا على أوفا وظلوا أحرارا حتى عام ٧٨٤م ، حيث استطاع أوفا أن يستعيد هيمنته على كنت وحكمها بقبضة من حديد حتى نهاية عصره عام ٧٩٦م • يؤيد ذلك الرأى ما اشارت اليه الوثائق الساكسونية عن منح أو ا

(٨) Cart. Sax., Nos. 154, 195.

قطعة من الارض الى رئيس أساقفة كانتربيورى فى نهاية عام ٧٧٤م دون أن تذكر اسم حاكم كنت ألبتة [٩] ، مما يؤكد خضوع مملكة كنت لسلطان مرسيا المباشر فى تلك الاونة • ويبدو أن كبار الزعماء الكنتيين قد آلمتهم تلك السيطرة ، فخططوا للثورة ضـد أوفـا والانسلاخ عن سلطان مرسيا ، فكانوا أن حشدوا قواتهم وهاجموا أوفا فى نهاية نفس العام (٧٧٤م) ، يؤيد ذلك الرأى ما أشارت اليه المصادر عن نشوب قتال شرس فيما بين جيوش الطرفين فى موقعة أوتفورد Otford عام ٧٧٤م [١٠] • والملاحظ عدم اشارة أى من المصادر على وجه الاطلاق الى نتيجة تلك المعركة من قريب أو بعيد ، فى حين أن البعض اعتبرها نصرا حاسما للملك أوفا [١١]، بينما صمت الاخرون دون تعليق يذكر على نتائجها •

---

(٩) Cart. Sax., Nos. 213, 214 cf. also: Stenton, op. cit., p. 207.

(١٠) The Anglo-Saxon Chronicle, cf. E. H. D., vol. I, p. 178; The Laud Chronicle, p. 50; Roger of Westminster, vol. I, p. 361; Roger of Wendover, vol, I, p. 152; Roger de Hoveden, Vol. I, p. 25.

(١١) اختلفت الحوليات فى تحديد عام المعركة • فهناك أربع حـوليات حددته بعام ٧٧٤م واثنتان قالتا بحدوثها عام ٧٧٣م • ويلاحظ أن المؤرخ المشهور ستنتون قد حددها فى عام ٧٧٦م ، وهذا خطأ، علما بانه لم يشر الى المصدر الذى اعتمد عليه ، ولعله أخذ التاريخ قياسا على حوليه باركر The Parker Chronicle التى قالت بحدوث المعركة فى الفترة الممتدة من عام ٧٧٣ حتى عام ٧٧٦م • انظـر مصادر الحاشية السابقة (١٠) ، وأيضا انظر :

Stenton, op. cit., p. 207 & N. 5. cf.

هذا ، واذا نظر الباحث المدقق فى وثائق كنت الصادرة فى سنوات ما بعد المعركة ، نجده لا يتحفظ فى قبوله للرأى القائل بانتصار أوفا فحسب ، بل الجزم بهزيمته هزيمه نكراء كانت لها آثارها الهامة على مسار الأحداث فيما بعد . وآية ذلك الرأى ، أن الوثائق لم تنشر بأى حال من الاحوال الى اسم الملك أوفًا فى كافة الوثائق التى صدرت فى كنت على امتداد السنوات التاليات لمعركـة أوتفورد (٧٧٤ — ٧٨٤) كما كان الحال من قبل تلـك المعركة . فعلى سبيل المثال صدرت وثيقة فى كنت مؤرخة فى عام ٧٨٤م ، تفيد أن المدعو « ألموندوس Ealmandus ملك كنت » قد أصدر أوامره « بمنح قطعة أرض فى مملكته الى أسقف ريكفلر Reculver » دون أن تشير الوثيقة من قريب أوبعيد الى الملك أوفا كما كان الحال فى وثائق ما قبل المعركة المذكورة (١٢) . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، أشارت الروايات التاريخية الى توتر علاقات أوفا مع كنت عقب هزيمته فى أوتفورد ، وظل الحـال هكذا على امتداد تلك السنوات العشر ، التى استغلها أوفا فى اعادة تنظيم صفوفه للثأر من هزيمته السابقة ، مع التحرش بكنت لجرها الى معركة استعد لها تماما . لذا ، ومكرا منه ، وتمهيدا لغزو كنت لاشباع رغبته فى الثأر منها ، أصدر الملك أوفا عدة قرارات تتلخص فى سلب اختصاصات

---

(١٢) اكتشفت تلك الوثيقة فى القرن الثالث عشر ، ولقد أوردت المراجع اسم ملك كنت بعد ترجمته الى الانجليزية بهذا الشكل Ealhumund
cf. Stenton, op. cit., p. 207 and N. 7.

رجال الكنيسة ، وعلى رأسهم رئيس أساقفة كانتربيورى الذى جرده من سلطاته تماما • وفى نفس الوقت ، واثارة للبابوية المتحالفة مع كنت ، وتدميرا لسلطان الكنيسة الرومانية فى انجلترا ، أصدر أوفا قرارا بانشاء أسقفية فى ليتشفيلد **Lichfield** ثم فجأة اتخذ عدة قرارات للاسف لم تحـــدد المصادر أو المراجع كنيتها ، ولقـــد بلغت تلك القرارات « كما رددت الشائعات المتواترة » حدا من الخطورة لدرجة أن البابوية اعتبرتها « خطرا ما حقا هدد انجلترا كلها بالخـــروج من حظيرة المســيحية ، والتحـــرر من ســـلطان البابوين » (١٣) المتسلط عليها •

هذا ، ويبدو أن البابا لخطورة القرارات التى أصدرها أوفا قد عقد تحالفا مع ملك كنت ، وحرضه على مهاجمة مرسيا للتخلص من أوفا ، مذكرا اياه بامكانية تكرار الانتصار السابق الذى حققته كنت فى عام ٧٧٤م • ولكن الكنتيين فوجئوا بالملك أوفا يعاجلهم بالهجوم بعد أن علم بالخبر بطريقة أو بأخرى ، فهزمهم هزيمـــة ساحقة كما أشارت الوثائق فى بداية عام ٧٨٥م ، واكتسح بعدها كنت ، ثم أعلن ضمها لاملاكه حيث ظلت تحت سلطانه المباشر حتى

---

(١٣) من المرجح أن تلك القرارات الخطيرة التى اتخذها أوفا والتى هددت الوجود المسيحى فى انجلترا بالزوال ، تتلخص فى اعتناقه الاسلام، واصداره ديناره المشهور ذى عبارات التوحيد الاسلامية ، بدليل ارسال البابا بعثة ٧٨٦م ، التى سوف نشير اليها بالتفصيل فيما بعد انظر :
Stenton, op. cit., pp. 207, 215, 216 & The notes.

وفاته فى عام ٧٩٦م ، وآية ذلك أن كنت قد ظل اسمها يتردد دوما فى كافة الوثائق التى صدرت من الملك أوفا على امتداد السنوات الممتدة من عام ٧٨٥م حتى وفاته عام ٧٩٦م (١٤) .

واذا عرجنا على سسكس Sussex المجاورة لكنت ، لمناقشة موقف الملك أوفا منها ، ومدى ما بذله من جهود لادخالها فى نطاق اتحاد ممالك الانجلوساكسون الكونفيدرالى بزعامته . نجد هذه المملكة كانت حسبما أشارت المصادر فى حالة يرثى لها ، بسبب تصارع كبار رجالها على العرش ، حيث استقل عدد منهم فيما يسمى بالمقاطعة Shire مكونين اقطاعات أو مقاطعات أو دوقيات انتحل أصحابها لقب « ملك » . ولقد ظل هؤلاء الملوك فى صراع دائم فيما بين بعضهم البعض ، طمعا فى الزعامة على كافة المقاطعات الاخرى . فاستغل الملك أوفا الفرصة ، وانقض على تلك المقاطعات وسيطر على سسكس كلية . ومن ثم أخضعها لسلطانه المباشر تاركا الحال على ماهى عليه من الانقسام ، ضمانا لعدم الانفصال عن مرسيا نواة الوحدة الانجليزية الام . وأصدر أوامره بمنح كل حاكم من هؤلاء الملوك لقب الدوق dux . هذا ، والثابت أن اخضاع أوفا لمملكة سسكس وجعلها تحت سلطانه المباشر ، قد تم فى نهاية عام ٧٧١م أو بداية عام ٧٧٢م . فلقد أشارت احدى وثائق

---

(١٤) عن انتصار اوفا على كنت عام ٧٨٥م ونتائجه انظر :
Cart. Sax., no. 242 cf. also: Stenton, p. 207 & The notes.

الساكسون الجنوبيين South Saxons غير المؤرخة الى تصديق الملك أوفا على صحة تنفيذ قرارين صادرين من اثنين من هؤلاء الملوك أو الحكام فى سسكس ، بمنح عطيتين الى اثنين من كبار رجالهما • ومن ثم فان هاتين الوثيقتين قد صدرتا قبل سيطرة أوفا الكاملة على سسكس ، أى فى نهاية عام ٧٧١م أو بداية عام ٧٧٢م كما ذكرنا عاليه • يؤكد ذلك الرأى وثيقة أخرى صدرت عام ٧٧٢م ، تفيد اصدار أوفا قرارا بمنح لقب الدوق dux الى جميع الحكام الآنفى الذكر (١٥) ، مما يؤكد سيطرة أوفا المباشرة على سسكس آنذاك مضيفا بذلك لبنة جديدة فى صرح وحدة الامة الانجليزية الذى ظل طوال حياته يسعى جاهدا لاقامته ، وبعد سسكس اتجه أوفا بناظره الى مملكه وسكس Wessex المجاورة لمملكتى كنت وسسكس من ناحية الغرب ، تمهيدا للسيطرة عليها وضمها داخل نطاق اتحاده الكونفيدرالى •

الثابت أن وسكس Wessex كانت قوية الشوكة ولها بأسها قبل عصر أوفا بعدة عقود ،ولا توجد وثائق تفيد خضوعها لسلطان أوفا

---

(١٥) منح أوفا لقب الدوق لاربعة من قادة الساكسون الجنوبيين فى سسكس ، وتفيد الوثائق أن أحدهم قد منح نفسه فيما بعد لقب ملك Rex رغم خضوعه لسلطان أوفا المباشر •
انظــر :
Cart. Sax., nos. 197, 206, 208; E. H. D. vol. I, Doc. no.: 96 (Th Comment). p. 504 cf. also: Stenton, op. cit., p. 207 & The notes.

المباشر قبل عام ٧٨٦م • فلقد أشارت المصادر الى أنه عقب مصرع ايزلبالد ملك مرسيا عام ٧٥٧م كما أسلفنا ، قام كينولف Cynwulf صاحب وسكس من فوره بالهجوم على المرسيين ، واستعادة معظم أملاك السكسون الغربيين West Saxons منتهزا فرصة الحرب الاهلية والفوضى التى عمت مرسيا عقب مصرع ايزلبالد من جهة ، وانشغال أوفا باعادة تنظيم المملكة من الداخل من جهة أخرى • وكان ايزلبالد قد هيمن على وسكس وأدخلها فى نطـاق الاتحاد الكونفيدرالى الذى أنشأه بزعامته كما ذكرنا آنفا • ومن ثم جابت شهرة كينولف الافاق ، وتملكه الغرور الى حد أنه تجرأ وهاجم أملاك مرسيا ، واستولى على شريط ضيق من الاراضى التابعة لها شمال نهر التيمس Thames • وما أن علم الملك أوفا بالامر ، حتى قام من فوره باعداد جيشه ، وخرج لاستعادة ما استولى عليه كينولف من أراض ، واضعا فى حسبانه السيطره التامة على وسكس وضمها مباشرة الى أملاكه • وفى بنسينجتون Bensington القريبة من قرية بنســون Benson التقى الجمعان ، ودارت رحى معركة شرسة انتهت بهزيمة كينولف عام ٧٧٩م ، واستعاد أوفا كافة أملاكــه المغتصبة من قبل (١٦) •

هذا ، ولما كان كينولف مشهودا له بالاعتزاز بالنفس والعناد الشديد ، لذا تقبل الهزيمة على مضض ، وانسحب بفول جيشه

(١٦) The Laud Chronicle, p. 51; The Parker Chronicle, p. 50; Roger of Wendover, vol. I, p. 154; Roger de Hoveden, I, p. 26; Matthew of Wentmisster, I, p. 369; cf. also: Stenton, op. cit., p. 209.

عائدا الى وسكس ، واضعا نصب عينيه حتمية الثأر لهزيمته السابقة . ولكن مشيئة الله كانت أقوى ، اذ حدث فى عام ٧٨٦م أن ثار المدعو كينهيرد Cyneheard شقيق سيجبرت Sigbert أحد الملوك الذين حكموا وسكس منذ ثلاثين عاما مضت ، وكان يطمع فى التخلص من كينولف والسيطرة على العرش . خرج كينولف لملاقاة عدوه وحسم الصراع معه فى معركة فاصلة ، ليتفرغ بعدها للثأر من أوفا . ولكن شاءت ارادة السماء أن تنتهى المعركة بمصرع الملكين المتنافسين على عرش المملكة فى عام ٧٨٦م (١٧) ، فانفتح الباب بعد المعركة على مصراعية أمام الملك أوفا الذى انطلق بجيشه الى وسكس وسيطر عليها وضمها الى أملاكه ، مضيفا بذلك لبنة جديدة الى صرح الامة الانجليزية الواحدة ، أسمى آماله التى كرس حياته وكل امكاناته من أجلها .

وجدير بالذكر هاهنا أن الملك أوفا بعد انتصاره السابق ، وضم وسكس الى أملاكه ، وبما عرف عنه من دبلوماسية ماكرة ، ووأدا لاى أفكار انفصالية قد تراود ملوك الساكسون الغربيين للخروج عن طاعة مرسيا ، قام أوفا بتزويج ابنته ايدبره Eadburh الى كبيرهم المدعو بيورهتريك Beorhetric (٧٨٦ — ٨٠٢م) ، وجعله حاكما على وسكس من لدنه ، بعد أن أمّن له العرش وخلصه

---

(١٧) The Laud Chronicle, p. 53; The Parker Chronicle, p. 52; Roger of Wendover, vol, I, p. 155f.; Roger de Hoveden, 1, p. 27; The Anglo - Saxon Chronicle, cf. E. H. D., vol. I, p. 180.

من منافسة ايجبرت **Egbert** بنفيه خـارج انجلترا الى القـارة الاوربية ، حيث كفل له شارلمان العظيم الحماية والامان • وهكذا وعن طريق روابط المصاهرة ضمن أوفا السيطرة التامة على وسكس وكافة أملاك الساكسون الغربيين فى حياته وبعد مماته أيضا (١٨) •

هذا ، ومن أجل اتمام بناء وحدة الامة ، اتجه أوفا بناظره شرقا حيث جماعات الساكسون الشرقيين فى مملكة ايست أنجليا (أنجليا الشرقية) **East Anglia** ، والتى كان يعامل حكامها معاملة الافصال الخاضعين لسلطان مرسيا (١٩) •

فالثابت أن ايست انجليا قد زالت أسرتها الحاكمة بموت ايلفولـد **Aellfwold** عام ٧٤٩م (٢٠) ، فساءت أحوالها وتصـارع زعماؤها طمعا فى كرسى العرش الذى تربع عليه عدد من الملوك المجهولى النسب ، فانتهزت مرسيا الفرصة ، وسيطرت عليها وظلت ايست انجليا منذ ذلك الحين فصاعدا خاضعة لمرسيا حتى نهاية عهد ايزلبالد عام ٧٥٧م •

---

(١٨) ظلت كافة أقاليم الساكسون الغربيين خاضعة لسلطان مرسيا بسبب صلة النسب هذه حتى عام ٨٠٢م • فى هذا الصدد ، وللمزيد انظر :
The Anglo - Saxon Chronicle, cf. E.H.D., p. 180; The Laud Chronicle, p. 54; The Parker Chronicle, p. 55;Roger of Wendover, 1, p. 165; Roger de Hoveden, 1, p. 27 ff.; cf. also: Stenton, op. cit., pp. 209 - 210 & The notes.

(١٩) Cart. Sax., No. 208; Also: Stenton pp. 204 & n. 5, 205 & n. 1, 210.

(٢٠) اخر ملوك ايست انجليا ، كان رجلا مثقفا وعلى صلة طيبة بالقديس **بونيفاس** **Boniface** ولقد أمر بتكملة تاريخ أولى مراحل حيـاة **القديس جوثلاك** **Guthlac** • انظـر :
Stenton, op. cit., p. 210 & nos. 2 - 4.

مهما يكن من أمر ، فما ان تولى أوفا عرش مرسيا عام ٧٥٧م، حتى قوى من قبضته على ايست انجليا ، خشية انفصالها عن الاتحاد الانجليزى كما حدث بالنسبة لمملكتى وسكس وكنت من قبل واضطر أوفا للتضحية بالعديد من الارواح من أجل اعادتهما الى حظيرة الاتحاد كما أسلفنا • ويبدو أن الملك ايثلبرهت Aethelberht ملك ايست أنجليا فى تلك الاونة (٧٥٠ — ٧٩٦م) ، قد غضب بشدة لتجريد أوفا اياه من أغلب اختصاصات الملك ، فصبر على مضض ، عله يجد الفرصه المواتية لتحرير بلاده من سيطرة أوفا عليها • حدث ذلك فى نفس الوقت الذى كان فيه البابا أدريان الاول Adrien I (٧٧٢ — ٧٩٥م) ، والكنيسة الرومانية يبذلان كافة جهودهما للتخلص من الملك أوفا ، لمواقفه المعادية للكنيسة الرومانية ، حيث اعتبراه وأعماله ضد الكنيسة والعقيدة الكاثوليكية• لذا ، قام أدريان باشعال نيران الكراهية لدى ايثلبرهت ضد الملك أوفا وحرضه مكرا منه على مقاتلته لنوال احدى الحسنيين : النصر أو الشهادة فى ظاهر الامر ، بينما هو فى حقيقة أمره كان يتحرق شوقا للتخلص من أوفا عدو الكنيسة الرومانية اللدود (٢١) •يؤيد ذلك الرأى ما أشارت اليه المصادر عن جهود ايثلبرهت المستميتة من أجل اعداد قواته ، وقيامه بمهاجمة مرسيا أملا فى تحقيق النصر المؤزر أو الحصول على الشهادة والخلد فى الاخرة مع « القديسين

---

(٢١) سنتناول أسباب تلك الكراهية بالتفصيل فى حينه بعون الله •

والشهداء » ! فكان أن هب أوفا لمقاتلته ، وفى موقعة حاسمة التقى العدوان وانتهت بهزيمة ايثلبرهت وأسره يوم الثلاثاء الموافق ٢٠ مايو ٧٩٤م•ومهما يكن،فالملاحظ أن الملك أوفــًا على عكس ماجبلت عليه نفسيته من تقوى وورع وحسن خلق نجده هاهنا يتحول الى وحش آدمى ، حيث أحضر ايثلبرهت ثم « ذبحه وفصل رأسه عن جسده بلا رحمــة » (٢٢) ؛ مما يجعل المرء يتعجب ويتساءل عما أصاب سلوك أوفا الانسانى المعهود عنه دوما فى معاملاته مع أعدائه وهم له ألد الخصام ، وحوله الى سلوك عدوانى وحشى لم نألفه فيه من قبل ؟ •

بادىء ذى بدء ينبغى الاشارة الى أن كافة الوثائق والمصادر المعاصرة والمتأخرة زمنيا لم تشر من قريب أو بعيد الى الاسباب الحقيقية التى حدت بالملك أوفــًا الى سلوك هذا السبيل العدوانى • هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، يعزى البعض سبب مصرع ايثلبرهت لاسباب تتعلق بحق أسرته فى الحكم ، ورغبته فى الاستقلال عن سيادة مرسيا (٢٣) ، الا أن هذا التبرير غير مقبول ولا يعتد به • يؤكد ذلك ما أشرنا اليه آنفا من أن أوفا لم يكن من خلقه اتباع هذا السبيل لما عرف عنه من حسن خلق وطيبة قلب وتقوى ، أضف الى ذلك ماذكرته المصادر عن سعيه الدائم بلا كلل أو ملل ، لكسب

(٢٢) cf. The Laud Chronicle, p. 55; The Parker Chronicle, p. 54; Roger of Wendover, 1, p. 158 f.; Roger de Hoveden, 1, p. 29 & n. 21; cf. also: Stenton, op. cit., p. 210 & The notes.

(٢٣) Stenton, op. cit., p. 210 & the notes; D. S., p. 118.

صداقة الملوك المجاورين وتحاشى عداوتهم ، من أجل تدعيم روابط الوحدة معهم داخل اتحاد واحد يضم الامة الانجليزية تحت زعامته (٢٤) • هذا فضلا عن استخدامه أسلوبا دبلوماسيا جديدا غير مألوف لتقوية الروابط مع بعض هؤلاء الملوك ، بتزويجهم وأولادهم ذكرانا وأناثا من أفراد أسرته ضمانا لعدم انفصالهم عن اتحاده الكونفيدرالى ، مثلما حدث وزوج احدى بناته من بيورهتريك ملك وسكس كما ذكرنا من قبل ، فضلا عن تزويجه اثلريد ملك نورثمبريا من ابنة أخرى له كما سنذكر فى حينه•من هذاالمنطلق ينتفى الاخذ بالرأى السابق ، اذ لو كان الامر يتعلق حقا بذلك التبرير ، لاكتفى أوفا بعد النصر الساحق الذى حققه ضد ايثلبرهت بنفيه من انجلترا فى حالة فشله عن كسب وده ، مثلما فعل من قبل مع ايجبرت الطامع فى عرش وسكس رغم كراهيته الشديدة له عام ٧٨٦م (٢٥) •

وبالمثل ، يلاحظ أن كافة المصادر المعاصرة والمتأخرة زمنيا قد صمتت تماما عن الاشارة من قريب أو بعيد لاسباب مصرع ايثلبرهت ، مما أوقع الباحثين فى حيرة ، ومن ثم فان كل ما قيل فى تبرير عملية الذبح مجرد حدس قابل للنقض والترجيح بمبررات أكثر احتمالا للصحة•لذا فان من الاصوب قبول التبرير السابق ذكره ، وأعنى بذلك تخطيط البابا أدريان وايثلبرهت معا لمهاجمة مرسيا

---

(٢٤) Matthew of Westminster, 1, p. 368; Roger of Wendover, 1, p. 153.

(٢٥) انظر ما سبق ص ٧٦ وحاشية رقم ١٨ •

للتخلص من تبعية الاخير لها فى الظاهر ، بينما يسعى الاول فى قرارة نفسه للخلاص من أوفا بسبب عداوته الشديدة له « لما قام به من أعمال أدت الى تقويض دعائم الايمـان » فضلا عن « الاشاعات التى ترددت » فى أوساط الكنيسة الرومانية عن « سلوك أوفا المعادى للعقيدة » كما أسلفنا ، ذلك السلوك الذى « هـدد بالخطر سلطان الكنيسة الرومانية مباشرة ، وأنذر باخراجه من انجلترا » (٢٦) •

هذا ، وبالوقوف هاهنا هنيَّة لمناقشة تلك العبارة التى أوردها المؤرخ المشهور سير فراند ستنتون نجد بما لا يدع مجـالا لبادرة شك تأييدا له أهميته ، يؤكد ما وصلنا اليه بصدد ترجيح اعتناق الملك أوفا للاسلام ، ولعل ذلك الاعتنـاق كان سرا ، فكان أن « ترددت الشائعات » ، حتى وصلت الى مسامع البابا أدريان ، فجن جنونه خوفا على الكنيسة الرومانية وعقيدتها الكاثوليكيه ، التى لابد أن تكون قد تأثرت بسبب اعتناق أوفا للاسلام ، فسارع البابا باعداد بعثة عاجلة أرسلها الى انجلترا عام ٧٨٦م • وتتضح

---

(٢٦) وردت تلك العبارة الخطيرة على لسان المؤرخ ستنتون اعتمادا على مصادر لم تتح لنا للاسف ، وهى تؤكد ما وصلنا اليه من احتمال اعتناق أوفا للاسلام سرا ، ثم بدأ اعلانه صراحه باصدار ديناره المشهور ، جسا للنبض ، وكشفا لردود الفعل المرتقبة • ولا شك ان تلك الشائعات التى ترددت ، وهددت المسيحية بالخطر المباشر تؤكد صحة ما وصلنا اليه وتضيف اليه جديدا • انظر :
Stenton, op. cit., p. 215.

أهمية تلك البعثة فى أن البابا قد وضع على رأسها المدعو جورج أسقف أوستيا George Bishop of Ostia وهو رجل مشهور بتجاربةالعديدة فى مجال التبشير بالمسيحية ، ومعه رجل كفء آخر هو ثيوفلاكت أسقف تودى Theophylact Bishop of Todi فضلا عن مجموعة أخرى من كبار رجال الدين المسيحى • هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، يلاحظ أن هذه البعثة هى الاولى من نوعها التى لم ترسل البابوية مثيلا لها الى انجلترا من قبل ، وذلك منذ ارسالها بعثة القديس أوجسطين لتمسيح انجلترا عام ٥٩٧م • مما يؤكد مدى خطورة الاوضاع المتردية التى وصلت اليها المسيحية فى انجلترا ربما بسبب ارتداد الكثيرين عنها ، فكان لابد من ارسال هذه البعثة العاجلة درءا لتلك المخاطر ،«ومن أجل اعادة تجديد وتثبيت الايمان فى نفوس الانجليز » كما ذكرت المصادر • وتؤكد الشواهد أن الملك أوفا مكرا منه قد هادن البابوية وأنكر الشائعات ، ترقبا للفرصة المواتية لاعلان اسلامه جهارا نهارا ، بعد أن يكون قد مكّن لدينه الذى ارتضى فى بلاده • فكان لأول وآخر مرة من نوعها فى تاريخ أوربا ، أن يأمر ملك مثله بضرب هذا الدينار الفريد ذى عبارات التوحيد الاسلامية فى تحد سافر للبابوية • وهنا ، وليأس البابوية عن اثناء أوفا عن عزمه ، أو التفاهم معه بالحسنى ، خطط البابا لعزله بالاتفاق مع كل من أيثلبرهت ملك ايست أنجليا ، فضلا عن البريطانيين (البريتونيين Britons) فى ويلز ، للقيام بالهجوم على أوفا ، وحصره بين فكى كماشة تطبق عليه من الشرق والغرب•

لكن شاءت الاقدار أن تفشل تلك الجهود بانتصار أوفا على ايثلبرهت ومصرعه كما أشرنا آنفا ، أما موقف ويلز من أوفا وردود فعل الاخير منها ، فهذا جانب آخر من جوانب الموضوع الهامة ، سوف نتناوله بالدراسة التحليلية فى حينه فيما بعد •

هذا والغريب أن المصادر قد أجمعت على أن بعثة عام ٧٨٦م قد أرسلتها البابوية « من أجل اعادة تجديد وتثبيت الايمان والسلام اللذين دعا اليهما القديس أوجسطين St. Augstine عام ٥٩٧م من قبل » (٢٧) • وبمناقشة تلك العبارة يلاحظ أهمية فحواها ، اذ انها تؤكد ما وصلنا اليه بشأن ترجيح اعتناق أوفا الاسلام ، بل ومحاولته نشره فى انجلترا ، مما أدى الى ارتداد الكثيرين عن المسيحية ، واحداث هزة عنيفة أصابت العقيدة الكاثوليكية بالضرر ودمرت جهود القديس أوجسطين السابقة لكثلكة انجلترا ، فكانت المحصلة تخطيط البابوية للتخلص من أوفا ، وفى نفس الوقت أرسل البابا تلك البعثة لاعادة تجديد الدعوة للمسيحية وتثبيتها فى نفوس الانجليز كما أكدت المصادر ، وذكرناه من قبل •

وهناك دليل آخر يؤكد صحة ما وصلنا اليه من اتفاق البابا السابق مع ايثلبرهت للتخلص من أوفا فكان أن ذبح بهذه الطريقة

---

(٢٧) عن تلك البعثة ، سوء أحوال المسيحية فى انجلترا آنذاك انظر
The Laud Chronicle, pp. 52, 54; The Parker Chronicle, p. 55; Roger of Wendover, 1, p. 156; Roger de Hoveden, 1, p. 29 & n. 21. cf. Also: Stenton, op. cit., p. 215.

البشعة جزاء وفاقا لاتفاقه هذا • فاقد أشارت المصادر والمراجع لغضب البابوية الشديد لمصرع ايثلبرهت ، واتهامها أوفا «بالوحشية والمزاج الدموى » ، فضلا عن اثارة النفوس ضده ، وحشدها للتخلص منه بعد اعداد تخطيط آخر أكثر حبكة من سابقه • وتقديرا لدور ايثلبرهت ، وكسبا للمشاعر ، أصدر البابا قرارا باعتبار ايثلبرهت « قديســا شهيدا » وأمرت الكنيسة بحفظ جسده فى كاتدرائيـــة هـــيرفورد Hereford التى أقيمت تخليدا لذكراه (٢٨) •

وجدير بالذكر فى هذا الصدد أيضا ، أن المصادر الكنسية المسيحية المتخصصة فى تاريخ القديسين والشهداء ، لم تشر الى حيثيات القدسية التى أسبغتها على ايثلبرهت من قريب أو بعيد ، بعكس عادتها المتبعة فى الاسترسال واظهار أمجاد هؤلاء القديسين ودورهم فى الذّب عن المسيحية ، مثلما هو الحال بالنسبة « للملك القديس لويس التاسع » على سبيل المثال (٢٩) • أما هاهنا فليس هناك مبرر منطقى يتقبله أى باحث منصف لاسباغ القدسية على

---

(٢٨) Roger de Hoveden, I, p. 29 & n. 21; cf. also: James, M. R., Two Lives of St. Ethelbert, King & Martyer, cf. E.H.R., vol. 32, 1917, p. 392; Stenton, op. cit., p. 210 & the notes; D. S., p. 118; C. E., p. 215.

(٢٩) فى هذا الصدد ، وللمزيد عن اسباغ القدسية على لويس التاسع أنظر : جوانفيل (سيرجان دى) : القديس لويس ـ حياته وحملاته على مصر والشام ، ترجمة د• حسن حبشى ، القاهرة ١٩٦٨م ، ص ٣١٩ ـ ٣٢١ ، وأيضا أنظر : D. S., p. 219 f.

ايثلبرهت ، الا القول بما وصلنا اليه بشأن اتفاقه مع البابوية للتخلص من الملك أوفا للاسباب السابق ذكرها . والمعروف والثابت تاريخيا أن شارلمان كان يعتبر نفسه « المدافع عن العقيدة المسيحية فى أوربا الغربية » لما قام به من أعمال لا تنكر من أجل نشر المسيحية وحمايتها بحد السيف ، ورغم ذلك لم تضعه تلك المصادر الكنسيه فى مرتبة القديسين ، بينما ايثلبرهت المغمور قياسا بشارلمان اعتبر قديسا شهيدا ! وتكرس كنيسة لتخليد ذكراه دون الافصاح عن أسباب تلك القدسية كما أسلفنا . ولاشك أن السبب يعزى فى المقام الاول الى رغبة البابوية فى تشجيع غيره من الملوك على الانصياع لاوامرها للحصول على مثل هذه المكانة الرفيعة فى الاخرة ، ومن ثم ضمان تكتيل كافة القوى ضد أوفا للتخلص منه وأدا لافكاره المعادية للمسيحية .

هذا ، والملاحظ أن المؤرخ ستنتون قد علق على مصرع ايثلبرهت فقال : « ..... ان من المرجح القول بأن موت ايثلبرهت كان نتيجة محاولته الاستقلال بمملكته » ،ثم عاد وشكك فى رأيه هذا فقال . « ... الا أن ملابسات موته لا زالت مجهولة » (٣٠) ، مشيرا بذلك الى عدم وجود نص أو رواية صريحة توضح السبب الحقيقى لمصرعه ومن ثم يتأكد لنا صحة ماوصلنا اليه

---

(٣٠) Stenton, op. cit., p. 210.

بصدد اتفاق ايثلبرهت المسبق مع البابا للتخلص من أوفا لاعتناقه الاسلام •

استعرضنا فيما سبق جهود الملك أوفا العسكرية والدبلوماسية لتوحيد الانجلوساكسون ، بضم ممالكهم تحت زعامته ، من خلال تناولنا علاقاته مع كل من كنت ووسكس وسسكس وايست أنجليا بالدراسة والتحليل • فكان على أوفا أن يواصل جهوده لاتمام بناء صرح تلك الوحدة ، وذلك باخضاع بقية الممالك الانجلوساكسونية التى لازالت خارج نطاق سلطان مرسيا،وهى نورثمبريا **Northumbria** واسكس **Essex** ، وليندسى **Lindsey** • والثابت حسبما أشارت الوثائق والمصادر أن مملكتى ليندسى واسكس الصغيرتين كانتا وغيرهما من الممالك الاخرى المماثلة ، خاضعتين لسيادة مرسيا فى عصر الملك ايزلبالد حتى وفاته فى عام ٧٥٧م ، وبالطبع ظلت تلك الممالك على حالها من التبعية طوال عهد الملك أوفا ، وكانت مرسيا تعامل ملوك تلك الممالك كملوك أقل مرتبة من غيرهم من الملوك الكبار ، وعرفتهم المصادر باسم **Under - Kings** • فلقد أكدت الوثائق أن أوفا كان يصدق على قراراتهم دوما ، فضلا عن منحه البعض أراض فى مدينة هارو **Harrow** دون الرجوع الى ملك اسكس أو مشاورته فى الامر • هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أشارت وثيقة ثانية الى معاملة أوفا لملك ليندسى على أساس أنه مرتبة أقل من الملك **Under - King** كما أسلفنا ، مما يؤكد خضوع حكام

تلك الممالك التام لسلطان مرسيا ، من ثم تتأكد سيطرة أوفا على كافة الممالك الانجليزية الصغيرة وتبعية ملوكها له (٣١) .

مهما يكن ، فلا مراء فى أن ما أنجزه الملك أوفا من نجاح فى مجال توحيد الامة الانجليزية بزعامته ، يعزى فى المقام الأول الى ما حباه الله به من حنكة وجرأة فى ميادين القتال ، فذاعت شهرته كرجل حرب وسياسة فريد الطراز ، ومن ثم استحق عن جدارة لقبى « ملك انجلترا » ، و« ملك كل بلاد الانجليز » (٣٢) كما ذكرنا آنفا ، بعد أن دانت لهكافة الممالكالانجليزية(الأنجلوساكسونية)بالولاء والطاعة . وجدير بالذكر أن لقب « ملك كل بلاد الانجليز » (٣٣) . قد استخدمه أوفا لاول مرة عام ٧٧٤م ؛ وذلك بالرغم من عدم وجود دلائل تؤكد تخطى سلطانه نهر الهمبر **Humber** الى مملكة نورثمبريا آنذاك . فالثابت أن الحرب الاهلية قد نشبت فى نورثمبريا فى ذلك العام واستمرت على مر الاعوام التالية طمعا فى العرش ، وظلت الحروب مشتعلة حتى عاد أثلريد **Athlred** الملك المخلوع من

---

(٣١) ذكر متى أوف ويستيمنيستر أسماء ثلاث وعشرين مملكة صغيرة ، أطلق عليها اسم المقاطعات Shires مثـــال اسكس ـ ليندسى ـ جلو سستر Glosister ودربى . وقال بخضوعها التام لسلطان مرسيا فى عهد الملك أوفا . أنظر :
Matthew of Westminster, 1, pp. 379 - 380. cf. also: Stenton, op. cit., pp. 204, 205, 210, 211 & the notes.

(٣٢) Cart. Sax., Nos., 213, 214, 234, 257; cf, also: Stenton, op. cit., p. 211 & the notes.

(٣٣) Cart. Sax., No. 214.

منفاه ، بعد أن انتصر حزبه على معارضيه عام ٧٧٩م • وهنا وبما عرف عن الملك أوفا من بعد نظر ، سارع بتكثيف مساعداته لاثلريد ، وعرض عليه كفالة الحماية والآمان له ، ولعرشه نظير الانضمام الى اتحاد الممالك الانجليزية الكونفيدرالى بزعامته ، فوافق أثلريد على الفور ضمانا لتأمين عرشه • هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، وضمانا لاستمرار تواجد نورثمبريا داخل نطاق الاتحاد أنكح أوفا احدى بناته المسماة أيلفيلد **Aelfaeld** **الى أثلريد** (٣٤)

هذا ، وبانضمام نورثمبريا الى الاتحاد الكونفيدرالى ، اكتمل بناء صرح وحدة الانجليز (الانجلوساكسون) لاول مرة فى التاريخ تحت سيادة مرسيا • ذلك الصرح الذى ظل قويا على امتداد عصر الملك أوفا (٧٥٧ — ٧٩٦م) ، وبموته يوم الجمعة ٢٩ يوليو ٧٩٦م بدأ العد التنازلى لانهيار سيادة مرسيا على الانجلوسكسون ، الى أن زالت تماما فى القرن التاسع الميلادى • (٣٥)

---

(٣٤) The Parker Chronicle, p. 51; Roger of Wendover, 1, pp. 152, 158; Roger de Hoveden, 1, pp. 24 - 30; Matthew of Westminster, 1, 369 f.; Simoen of Durham, cf. E. H. D., vol. I, p. 272; cf. also: Stenton, op. cit., pp. 90, 93, 94, 212.

(٣٥) عقب موت أوفا خلفه ولده ايجفيرث Ecgfrith الذى مات بعد أقل من خمسة أشهر ، ثم خلفه كينولف Cenwulf قريبه من بعيد (٧٩٦ — ٨٢١م) ثم كيولولف Ceolwulf الذى عزل عام ٨٢٣م ، ليفسح الطريق أمام بيورنولف Beornwulf المجهول
=

وجدير بالذكر فى هذا الصدد ، أن اثلريد ملك نورثمبريا قد ظلت روابطه بالمصاهرة مع الملك أوفا قوية ، حتى تم اغتياله بواسطة مؤامرة دنيئة دبرها بعض من النبلاء المقربين اليه أوائل عام ٧٩٦م (٣٦) ، خرجت بعدهـا مملكته من الاتحاد الكونفيدرالى من جهة ، فضلا عن سقوطها فى خضم بحر لجى من الصراعات والفوضى التى استغلتها البابوية وشارلمان أيـّما استغلال ، من أجل بسط سيطرتهما عليها وعلى كافة الامة الانجليزية فيما بعد من جهة أخـرى •

=

الاصل والنسب • وفى عام ٨٢٥ هاجمه ايجبيرت Egbert ملـك وسكس (ت ٨٣٩م) ، وهزمه فى موقعة ايلليندون Ellendun وهيمنت وسكس على الانجلوساكسون • هذا ، ولقد زالت سيادة مرسيا تماما بعد هجوم الدانيين عليها أواخر القرن التاسع الميلادى وحيث انقسمت الى قسمين : انجليزى ودانى ، وظل حالها هكذا حتى تولى الفريد العظيم حكم وسكس (٨٧١ ــ ٨٩٩م) ، ثم بسط سلطانه على مرسيا وكافة الممالك الانجليزية بعد انتصاراته الســاحقة على الدانيين وطردهم من انجلترا • فى هذا الصدد ، وللمزيد عـن تفصيلات الاحداث بعد وفاة أوفا وانهيار مرسيا وزوال سيادتها انظـر :

The Parker Chronicle, pp. 50, 52 56, 60, 62, 70, 72; 74; 76; 78, 80, 82, 84, 86, 88, 90, 92; The Laud Chronicle, pp. 57, 59; 61; 71, 73, 75, 77, 79, 81, 83, 85, 87, 89, 91; cf. also: Stenton; op. cit., pp. 225 - 238; 249 - 76; Sh. Camb. Med. Hist., 1, pp. 379 - 87; Whitelock, cf. E.H.D., p. 23 ff. & the notes.

(٣٦) The Laud Chronicle, p. 57; The parker Chronicle, p. 56
وللمزيد أنظر : Stenton, op. cit., pp. 93 - 94.

وهنا لابد من وقفة لمناقشة أسباب مصرع أيثلريد لما لها من أهمية فى كشف بعض جوانب البحث الغامضة . فمما لاشك فيه ، وحسبما أكدت الشواهد التاريخية أن مصرع اثلريد كان سببه صلة النسب التى تربطه بالملك أوفـا بصفة عامة ، ولخوف البابوية من احتمالات تأثره بسبب تلك الصلة بأفكار الملك أوفا المعادية للمسيحية كما أسلفنا بصفة خاصة . اذا خطط البابا للتخلص من أثلريد ، ويبدو أن شارلمان كان له ضلع كبير فى هذا المخطط الذى انتهى بمصرع أيثلريد يوم ١٨ أبريل ٧٩٦م كما ذكرنا عاليه . وعلى الفور قامت حروب أهلية بين مؤيدى الملك الصريع وأعوان المتآمرين انتهت بتنصيب كبيرهم المدعو أيردولف **Eardwulf** ملكا على نورثمبريا بتعضيد من البابوية (٣٧) فثار الاهالى ضد الملك المفروض عليهم قسرا ، فأضطر للفرار على أمل العودة من جديد بمساعدة البابا وشارلمان . يؤيد ذلك الرأى ما أشارت اليه المصادر والمراجع من اهتمام كل من شارلمان والبابا بأحوال نورثمبريا وعرشها ، ورغم أن هنـاك رواية وحـيدة تنفى اشتراك المدعـو ايردولف فى قتـل أثلريد ، الا أن تطور الأحداث ، وحسبما أكدت المصادر ، لا تؤكد اشتراكه فى المؤامرة فحسب ، بل تؤكد تآمره حتى اخمص قدميه مع البابوية وبتعضيد من شارلمان ضد كينوولف **Cenwulf**

---

(٣٧) The Laud, Chronicle, p. 57; The Paker chronicle, p. 56; cf. also: Stenton, op. cit., p. 94.

ملك مرسيا وقريب الملك أوفا فلقد ذهب ايردولف عقب فراره الى شارلمان طالبا مساعدته واعادته الى العرش ، فأرسل الاخير رسالة من لدنه الى البابا ليو الثالث Leo III (٧٩٥ — ٨١٦م) لتعضيده، وللمساعدة فى اعادة ايردولف الى عرش نورثمبريا ، وكان أن تم ذلك بالفعل (٣٨) •

لقد كان الاتفاق كما يبدو — ينص على اعادة ايردولف مقابل التخلص من آخر سلالة أسرة وأقارب الملك أوفا ، وأعنى الملك كينولف Cenwulf (٧٩٦ — ٨٢١م) ، بسبب أعماله المعادية للكنيسة والمسيحية فى انجلترا • فلقد ألمحت المصادر الى فزع البابوية من كينولف بسبب تصرفاته المعادية للعقيدة الكاثوليكية ، بدليل ما أشارت اليه من حدوث صراع بين كينولف وممثل البابوية فى انجلترا ، وللاسف سبب الصراع غير معروف حسبما يؤكد المؤرخ ستنتون ، الذى عاد فأشار الى احتمال أن يكون السبب « انتزاع كينولف ملكية بعض الاراضى التابعةلكاتدرائيةكانتربيورى» بينما اتهم كينولف رئيس الاساقفة ومندوب البابوية فى كنت « بتصرفات ما » بدرت منه « تستدعى عزله » ، وبلغ الصراع حدا لدرجة أن « البابا هدد باصدار قرار الحرمان ضد انجلترا،ولكنه عاد وعدل عنه » (٣٩) • هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أوعز البابا — وعضده شارلمان فى ذلك — للملك ايردولف بالهجوم على كينولف

(٣٨) Stenton, op. cit., Loc. cit., & the notes.

(٣٩) Stenton, op. cit., p. 229 & nos. 4 - 5.

للقضاء عليه وقطع دابر اسرة أوفا . ففى عام ٨٠١م غزا أيردولف مرسيا ولم تشر الروايات الى نتائج أو أسباب الغزو حسب العادة المتبعة لطمس حقائق تاريخ الملك أوفا وخلفائه من بعده ،ولقد علق مصدرنا الوحيد هاهنا السير فرانك ستنتون على تلك الأحداث، فقال: « ان الكتاب الانجليز لم يسجلوا شيئا عن تلك الاتصالات (يقصد اتصالات ايردولف بكل من البابا وشارلمان) ، فليست هناك معلومات عن الاحوال السياسية التى استدعت حدوثها » ، مما يؤكد صحة ما وصلنا اليه فى هذا الشأن . ولعلنا نضيف جديدا يؤكد ذلك أيضا ، اذ أورد نفس المؤرخ ستنتون عبارة هامة عن تلك الاتصالات ، أوضح بها بطريقة غير مباشرة السبب منها ، اذ قال : « لكن تلك الاتصالات على الاقل توضح أن الامبراطور شارلمان قد رحب بتلك الفرصة التى أتيحت له للتدخل فى شئون شمال انجلترا ، حتى يستطيع مواجهة التحدى القادم اليه عبر القنال الانجليزى ، ممثلا فى تلك القوة المخيفة التى أعدها الملك أوفا »(٤٠) أى ان شارلمان « حامى المسيحية فى أوربا الغربية كما وصف نفسه » (٤١) ، وبتشجيع من البابوية ، قد وجد فرصة عمره فى طلب

---

(٤٠) اعتمد ستنتون هاهنا على مصادر خاصة لم تتح لغيره من الباحثين، مما أعطى لكتاباته أهمية خاصة باعتراف المؤرخين الاخرين المعنيين . انظر
Stenton, op. cit., pp. 94 - 95 and the notes.

(٤١) Stenton, op. cit., p. 219.

ايردولف المساعدة منه ، وذلك للتدخل فى شئون نورثمبريا ، وحيث يمكنه عن طريقها التحكم فى شمالى انجلترا « واعادة تجديد الدعوة للمسيحية » من جهة ، فضلا عن اتاحة الفرصة له للزحف عبرها فى شخص ايردولف الى مرسيا ،والقضاء تماما على آخر سلالة أوفا فى انجلترا ، ولعل ذلك يفسر قيام ايردولف بغزو مرسيا عام ٨٠١م دون أن تشير المصادر الى أسباب الغزو من قريب أو بعيد كما أوضحنا من قبل •

وجدير بالذكر ان الملك أوفا رغم وجود بعض نقاط الضعف فى علاقاته السياسية مع غيره من الملوك ، فمما لاشك فيه أنه كانت لديه من « القوة الرهيبة » الكافية لجعل شارلمان أعظم الملوك فى ذيّالك الوقت يعمل له ألف حساب ، وأن يسعى لمهادنته رغم كراهيته الشديدة له ، بل ويخاطبه فى رسالة جاء فيها : « ••• ان الحفاظ على روابط الصداقة بين أصحاب الجلالة الملوك ، وأصحاب المقامات الرفيعة ، أمر حتمى من أجل كفالة السلم ودوام المحبة فيما بينهم » (٤٢) ، مما يؤكد عظم مكانة أوفا ، ومعاملة شارلمان له كند مساوله ولعلنا نجد فى رسالتين آخريين ما يؤكد عظم تلك المكانة من جانب ، كما أنهما تؤكدان صدق ما وصلنا اليه من ترجيح

---

(٤٢) وللمزيد انظر نص الرسالة :
Letter of Charles the Great to OFFA, King of Mercia (796A. D.); cf. E.H.D., vol, 1, Doc. No. 197, pp. 848 - 839.

اعتناق أوفا الاسلام فلقد أشارت المصادر الى رسالة أرسلها شارلمان الى كل من ايزلهرد Aethelheard رئيس أساقفة كانتربيورى وكيولولف Ceolwulf أسقف ليندسى Lindsey ، يطالبهما فيها « بالتلطف والتودد الى الملك أوفا » ، واعدا اياهما بالتدخل لدى أوفا « للسماح لهما بالعودة الى بلديهما ، دون الحاق الضرر بهما » (٤٣) • والثابت أن هذين الرجلين كانا قد أبعدهما أوفا دون أن تذكر المصادر سببا أو أسبابا للابعاد ، والتى يحتمل أنها كانت بسبب موقفهما المعادى للملك أوفا ومعارضتهما اياه لمواقفه المعادية للعقيدة المسيحية ، تلك المواقف التى توجت باصداره ديناره الذهبى ذى عبارات التوحيد الاسلامية • ولعلهما أخذا معهما بعضا من تلك الدنانير وقدماها الى البابا أدريان الاول مصحوبة بتقرير واف ، يحدد ظروف ضرب تلك الدنانير ، فضلا عن تبيان سياسة أوفا المعادية للكنيسة والعقيدة المسيحية ، كما أخبراه بنوايا أوفا الرامية الى تدمير الكنيسة الرومانية والحط من قدر البابا فى نفوس تابعيه والسعى الجدى الى خلعه • وآية ذلك أن البابا قد سيطر عليه فزع شديد خوفا من مغبة الاخطار التى سوف تصيب المسيحية فى انجلترا من جراء سياسة أوفا تلك واضطر الى أخذ الحذر منه ، وعمل لسياسته ألف حساب (٤٤) هذا

---

(٤٣) Letter of Charles the Great to Aethelheard archipshop of Canterbury & Ceolwulf bishop of Lindsey (793 - 796), cf. E.H.D., vol, 1, Doc. No. 196, p. 847.

(٤٤) Stenton, op. cit., p. 215.

من جانب ، ومن جانب آخر أشارت المصادر الى رسالة ذات عبارات خطيرة الفحوى ، أرسلها البابا أدريان الى الامبراطور شارلمان افاض فيها واستفاض فى مدح الامبراطور حامى المسيحية والمدافع عنها فى أوربا الغربية ، ثم عرج بعد ذلك على موضوع ما سمعه من « شائعات وصلت مسامعه تؤكد تقرير شارلمان وعزمه على خلع البابا تحقيقا لرغبة الملك أوفّا ... ، تمهيدا لانتخاب بابا آخر من الافرنج بدلا منه ، بناء على اقتراح بهذا الصدد قدمه أوفا اليه وسعى جاهدا لتحقيقه » (٤٥) . والغريب أن تاريخ تلك الرسالة مجهول (٤٦) على غير العادة المتبعة فى مثل هذه الرسائل الهامة فيما بين الملوك والبابوات ! ولربما كتبت فى عام ٧٨٥م أو عام ٧٨٦م . ولاشك أن تلك الرسالة فضلا عن التقرير المشار اليه آنفا ، والذى كتبه كل من ايزلهرد وكيولولف مندوبى البابا تتضح أهميتهما فى انهما قد كشفا مدى الاخطار التى تهددت المسيحية فى انجلترا كلها ، بسبب اعتناق أوفا الاسلام ، فكان أن أسرع البابا بارسال بعثة عام ٧٨٦م لاعادة تجديد وتثبيت العقيدة المسيحية فى نفوس الانجليز كما ذكرنا بالتفصيل من قبل .

---

(٤٥) Counicls & Ecclesiastical Documents, ed, A. W. Hadden & W.S. Stubbs, Oxford, 1871, Vol. III, pp. 440 - 442.

(٤٦) من الملاحظ أن كافة وثائق عصر أوفا ، وكما أوضحنا من قبل اما غير موجودة أو نجد النادر الذى لا يفى بالغرض المطلوب منها . فضلا عن غموض الكثير منها وعدم ذكر تاريخها مما أوقع الباحثين فى
=

ويبدو أن شارلمان قد أرسل رسالة من لدنه مع مبعوث الى الملك أوفا ، بناء على توسلات البابا اليه بالتدخل للحد من خطورة الموقف ، وبما عرف عنه من ذكاء ودبلوماسية استقبل أوفا السفارة الفرنجية ، فضلا عن مبعوثى البابوية كما أسلفنا بالترحاب مهادنة منه لهم وضمانا لعدم اثارة القلاقل أمام مجهوداته لتوحيد الأمة الانجليزية ، وحتى يوطد أركان عقيدته الجديدة فى نفوس رعاياه ان استطاع الى ذلك سبيلا . فى نفس الوقت يحتمل أن شارلمان كان يسعى من وراء تدخله الى كشف مدى حقيقة ما أشيع عن اعتناق أوفا للدين الجديد ، فحاول جس نبضه بأن عرض عليه تزويج ابنه شارل من احدى بناته . فرفض أوفا بشدة ، وطالبه بتزويج ابنته بـرثا **Bertha** من ولده ايجفيرث **Ecgfirth** فاستشاط شارلمان غضبا ، لدرجة أنه أمر بوقف المفاوضات وسحب سفارته وعودتها على الفور ، فضلا عن اصداره أوامره المشددة بمنع كافة التجار الانجليز من دخول جميع موانى ومدن مملكته للتجارة (٥٠) .

=

حيرة ، ولعل ذلك يفسر أسباب اعتماد كافة المؤرخين المهتمين بدراسة تاريخ الملك أوفا بالذات ، وعلى رأسهم المؤرخ المشهور ستنتون — على الحدس والترجيح ، عند الكتابة عن تاريخ الملك أوفا بخاصة ، وبتاريخ الانجلوساكسون بعامة .

(٤٧) امدنا الكوين أستاذ شارلمان ومعلمه المشهور بوثيقة هامة ، عبارة عن رسالة أرسلها الى رجل دين ايرلندى يسمى كولكو **Colcu** فى عام ٧٩٠ ، توضح عداوة شارلمان لاوفا بسبب خلاف ما أثاره

=

هذا ، ولقد تلبدت سماء علاقات أوفا بشارلمان بالغيوم الداكنة ، وكان أن ألقى الاخير بكامل ثقله الى جانب البابوية وأعداء أوفا بعامة ، فلقد أشارت المصادر الى تأمين شارلمان لحياة ايجبرت Egbert أحد أعداء أوفا المشهورين الطامعين فى عرش مرسيا ، فثار هذا الاخير ضد أوفا الذى هزمه بمساعدة بيورهتريك Beorhetric ملك وسكس عام ٧٨٩م ، الذى كوفىء لمساعدته تلك بتزويج أوفا اياه من ابنته ايدبره كما أشرنا من قبل (٤٨) • وهكذا نضيف جديدا الى ما سبق وأشرنا اليه عن عظم مكانة أوفا ، وتأثيره القوى على مسار الاحداث فى أوروبا ، فضلا عن تحالف البابوية وشارلمان ضده ، وأدا لجهوده المعادية للكنيسة والعقيدة الكاثوليكية قبل أن يستفحل خطرها فى انجلترا كلها •

=

الشيطان — ربما كان لاختلاف العقيدة — مما ادى الى توقف حركة ابحار السفن التجارية بين البلدين • انظر :

C.E.D., vol, III, p. 487 f.; Letter of Alcuin to Colcu (790 A.D.); cf. E.H.D., vol, I, Doc. 192, pp. 840 841; «Acts of the Abbots of Fontenelle» (St. Wandrille), cf. E.H.D., vol. I, No. 20, p. 341.

(٤٨) يبدو أن شارلمان وجد الا مناص من مهادنة أوفا خوفا من القوة الرهيبه التى اعدها ، والتى عمل لها الف حساب ، خاصة وانه وجد من الصعب عليه عبور القنال الانجليزى ومهاجمته • لذا ، ولرغبته فى سيولة التجارة بين الجانبين من جديد ، اضطر لمهادنته وتكليف الكوين بالتدخل للصلح بينهما • وتم هذا ، وعادت التجارة الى سالف عصرها من النشاط بين الجانبين •

أنظـــر :

C.E.D. vol. IIII, p. 487 f., also: Stenton. op. cit., pp. 216 - 270; Wormald, op. cit., p. 101.

بسم الله الرحمن الرحيم

« الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ، واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انّا كنا من قبله مسلمين » ٠

(القصص : ٥٢ ــ ٥٣)

الفصّل الثاني

أوفــّــا ودوره الحضــارى

(٧٥٧ — ٧٩٦م)

— أوفّا باعث النهضة الانجليزية .

— دور أوفا فى النهوض بالتعليم والثقافة والجيش ، واصلاح النظم التشريعية والمالية والاقتصادية .

— الاهتمام بالتجارة الخارجية وتنشيطها بعقــد الاتفاقيات التجارية مع الفرنج والخلافة العباسية .

— التغيـــيرات التى اســتحدثها أوفــّــا فى العمـــلات الأنجلوساكسونية ودلالاتها الهامة .

— دينار أوفا الذهبى ذو عبارات التوحيد الاسلامية والآراء المختلفة حول أسباب ضربه .

بعد أن أمطنا اللثام فى الفصل السابق عن الجهود الناجحة التى بذلها الملك أوفا لتوحيد الممالك الانجلوساكسونية من جانب ، وبعد كشف النقاب عن مواقف كل من شارلمان والبابوية المعادية له من جانب آخر ، ينبغى أن ننتقل هاهنا لمناقشة دور أوفَّا الحضارى وأثره فى وضع نواة نهضة الامة الانجليزية ، لما فى ذلك من أهمية فى كشف غموض عصره ، ومن ثم سد بعض ثغرات البحث .

حقيقة ان أوفا لم يكن رجل حرب وسياسة فحسب ، بل كان رجل دولة ومنظما بارعا فريد الطراز ، فلا شك فى أن أعماله فى هذا الصدد لا تقل عظمة عن أعماله السياسية والعسكرية ، فلقد اهتم بالنظام المالى والاقتصادى ، فضلا عن النظام التشريعى . وبذل جهودا مكثفة من أجل رفع مستوى الانجليز الثقافى والاجتماعى ، وكفالة الأمن والآمان لهم ، وحماية مكاسبهم السياسية والاقتصادية التى حصلوا عليها فى عصره . ناهيك عن اهتمامه بالتشييد والبناء ممثلا فى سوره العظيم OFFA'SDYHB الذى سوف نتناوله بالتفصيل فى الفصل الاخير ، فضلا عن عنايته الفائقة بالجيش التى تمثلت فى اعداده تلك « القوة الرهيبة » التى حقق بها أعظم انجازاته بتوحيد الأمة الانجليزية تحت قيادته لأول مرة فى التاريخ كما أسلفنا هذا ، ولقد حصلنا من وثائق عصره النادرة على روايات تؤكد اهتمام أوفَّا الشديد بالثقافة والتعليم ، فضلا عن البناء والتعمير (١) . أما

(١) أكد الكوين فى رسالة الى أوفا فى احدى السنوات ما بين عام ٧٨٧م وعام ٧٩٦م اهتمام أوفا بالتعليم والثقافة وشكره على جهوده تلك . ولقد علقت د. وايت لوك D. Whitelock على جهود =

جهوده فى مجال التشريعات ، فهى واضحة وهامة ، الا أنه للاسف لم تصلنا قوانينه ، ولولا اشارة ألفريد العظيم ملك وسكس (٨٧١ — ٨٩٩م)نفسه فى مقدمة قوانينه بأنه قد استعان فى اصدارها بقوانين من سبقوه وعلى رأسها « قوانين الملك أوفَّا » ، (٢) ماعرفنا عنها شيئا ألبتة .

وهنا لابد من وقفه لمناقشة سياسة أوفا الاقتصادية من خلال تشجيعه التجارة ، وسك العملات اللازمة لتسهيل عملية التبادل التجارى وضمان سيولتها ، لما لها من أهمية فى كشف النقاب عن أهم وأخطر جوانب البحث .

فعلى امتداد عصره ؛ قام الملك أوفَّا (٧٥٧ — ٧٩٦م) بجهود سياسية ، وخاض المعارك الحربية من أجل وحدة الامة الانجليزية التى سخر كافة امكاناته المالية والبشرية من أجلها ، وقد نجح

=

أوفا ونشاطه التعليمى والعمرانى واشاد به وللاسف فان كافة وثائق عصره قد ضاعت ولم يصلنا الا النادر اليسير · انظر
Lettre of Alcuin to OFFA, King of Mercia (787 - 796). cf. E.H.D., Doc 195, p. 846 f.; E.H.D., p. 22 & the notes.

(٢) The Laws of Alfred (885 - 899), cf. E.H.D., Vol, I, No. 33, p. 407 ff; Letter of Alcuin to The Mercian Ealdorman Osbert (797), cf. E.H.D, vol I, Doc. 202, pp. 854 - 56; Cantor, N., The Medieval World (300 - 1300), N. Y, 1968, p. 93.

فى ذلك أيما نجاح كما أسلفنا . هذا ، ويعزى نجاحه فى المقام الاول الى ثروته المتحصلة من رسوم وأرباح البضائع والسلع التجارية المختلفة التى كانت ترد الى انجلترا من كافة الدول المعروفة آنذاك مما ساعده على تكوين تلك القوة العسكرية الرهيبة التى أفزعت شارلمان من جهة ، والتى استخدمها فى اقامة صرح الوحدة الانجليزية وحماية انجازاته فى شتى الميادين من جهة أخرى .

لا غرو أن جهود أوفا لرفع مستوى معيشة الامة الانجليزية وانجازاته فى مجال تنشيط التجارة وسك العملات كانت هى شغله الشاغل، ولعلنا نجد فى عبارة قالها هو نفسه عن أهمية التجارة ما يؤكد اهتمامه الكبير بها، اذ قال: «ان أى ملك يريد أن يرفع مستوى معيشة شعبه وتحقيق أمجاده ، لابد أن يهتم بالتجارة ويشجعها » (٣) . ولا شك أن هدفه من تشجيع التجارة كان فى المرتبة الاولى اعداد القوة اللازمة لتحقيق أهدافه لتوحيد الامة الانجليزية ورفع مستوى معيشتها ، عن طريق الرسوم المتحصلة من التجارة وأرباحها . والثابت أن علاقات انجلترا مع القارة الاوربية والعالم الاسلامى كانت قوية فى المجال التجارى ابان عصر الملك أوفا . والحقيقة أنه يصعب على الباحثين تحديد النشاط التجارى بين انجلترا والقارة ، ولكن توجد شواهد تاريخية تؤكد ازدياده فى القرن السابع وبداية الثامن الميلادى فلقد أشار المؤرخ بيد **Bede** فى سياق حديثه عن أحداث عام ٧٦٩م الى محاولات أحد التجار الفريزيان **Firisian** الموجودين فى

(٣) Stenton, op. cit., p. 224

لندن شراء أسير حرب انجليزى (٤) وبعد حوالى قرن من الزمان وردت اشارة تفيد تواجد جالية تجارية كبيرة من التجار الفريزيان فى مدينة يورك York ورغم ذلك فان الاشارات عن مدى حجـــم التبادل التجارى بين انجلترا وبلاد الغال (فرنسا) قبل تلك الفترة كانت بسيطة (٥) •

- سبق أن أوضحت أهمية التجارة بالنسبة للملك أوفا بالاشارة الى أن شارلمان عندما غضب منه — بعد رفضه العدول عن آرائه المعادية للكنيسة — قام بحرمان كافة التجار الانجليز من دخـــول المدن والموانى التابعة له وأغلقها فى وجوههم كما أسلفنا • (٦) ولاشك أن هذا الاجراء قد هدد بالخطر مصالح التجار الانجليز والافرنج على حد سواء ، فاضطر الملكان الى مهادنة بعضهما البعض ، ومن ثم تمت اعادة العلاقات التجارية بين الجانبين الى سابق عهدها من ناحية ، ومن ناحية أخرى عقد الملك أوفا مع شارلمان اتفاقية تجارية تعتبر الاولى من نوعها فى تاريخ انجلترا • تعهد فيها الطـــرفان بتسهيل سبل التجارة ، وكفالة الامن والحماية لتجار كلا البلدين • فمن جانبه ، تعهد شارلمان « بكفالة الامن والآمان للتجار الانجليز طبقا للاعراف التجارية القديمة » ، ثم استطرد قائلا : واذا حدث وأسيء اليهم أو ابتلوا بظلم جائر ، عليهم التقدم بشكاياتهم الينا

---

(٤) Bede, op. cit., pp. 244 - 245; cf, also, Stenton, op. cit., p 220.

(٥) Stenton, op. cit., loc. cit.

(٦) انظر ما سبق ص ٩٥ وحاشية رقم ٤٧ من الفصل الاول •

(أى الى شرلمان) أو الى قضاتنا ، ولسوف نصدر أوامرنا لاحقاق الحق ، وكفالة العدالة لهم » • أما التجار الافرنج فلقد كفلت لهم نفس الاتفاقية الحماية والرعاية فى ربوع انجلترا ، وجاء فى هذا الصدد على لسان شارلمان : « وبالمثل فان رجالنا اذا ماعانوا من أى عمل عدائى فى بلادكم (أى فى انجلترا) عليهم التقدم بشكاياتهم اليكم (أى الى الملك أوفا) من أجـل تطبيق قواعـد قوانينكم العادلة » (٧) •

هذا ، ولما كان النشاط التجارى فى حاجة الى عملة متداولة ، لذا أصدر الملك أوفا قراراته باصلاح العملة ، وتوجها بضرب عملات جديدة أخرى • ومايهمنا فى هذا الصدد عملته الذهبية المشهورة ذات عبارات التوحيد الاسلامية ، التى سبق الاشارة اليها عرضا من قبل تلك العملة التى لم تخلد اسم أوفا على مر التاريخ فحسب ، بل غلفت شخصيته بغموض شديد ، مما حير المؤرخين فى فهمها ، ومن ثم صعب عليهم مهمة تفهم الاسباب الحقيقة التى جعلته يضرب هذا الدينار الذهبى ، الفريد فى مظهره ومخبره ، تلك الاسباب التى سوف نتناولها بالبحث والدراسة التفصيلية ، بعد مقارنتها بكافة الآراء التى قيلت في تبرير اصدار تلك العملة وعلى ضوء ما جاء فى المصادر والوثائق ، بغية الوصول الى كشف السر الحقيقى من وراء ضرب هذا الدينار •

---

(٧) C.E.D., vol. III, pp. 487 - 498; E.H.D., vol, I, Doc. No. 197, pp. 448 - 449; cf. also: Stenton, op. cit., pp. 220 - 224 and the notes.

ومن الأهمية بمكان ، وقبل مناقشة تلك الآراء ، ينبغى الاشارة الى أن الانجلوساكسون قد ضربوا أول عملة لهم على طراز العملات الرومانية الفضية وليست الميروفنجية ، حدث ذلك فى كل من لنـــدن وكانتربيورى وغيرهما من مدن وسط وجنوب انجلترا ، ومع مرور الزمن ، تحولت تلك العملات الفضية الى نحاسية فى بعض الممالك مثلما حدث فى نورتمبريا ، وكان اســـما الملك وضـــارب العمـــلة ينقشان عليها . أما عملات جنوب انجلترا فكانت فضية ، ونادرا ما نقش عليها اسم الملك أو اسم الضارب ، مثال عملة مملكة مرسيا التى سكها كل من الملك بندا (٦٣٢ — ٦٥٤م) ، وولده ايزلريد خليفته الثـــالث من بعــده (٦٧٤ — ٧٠٤م) . كذلك تداولت انجـــلترا الانجلوساكسونية عملة أقل حجما من الفضية ، عرفت باسم البنس Penny ، والمعروف أن كلمة بنس قد استخدمت فى بلاد الغال فى القرن الثامن الميلادى ، مما يدل على قوة التبادل التجارى فيما بين البلدين فى عصر الميروفنجيين (٨) .

وبعد تولى الملك أوفا عرش مرسيا ، وبعد بسط سيادته على الممالك الانجليزية ، أصدر أوامره الصارمة بوقف استخدام كافة

---

(٨) Stenton, op. cit., p. 222 & the notes; Hobson, B., Coins & Coin Collecting, London, 1965, p. 35; Kent, J., 2000 Years of British Coins & Medals, British Museum Publications, London 1978, p. 15.

آنواع العملات السائدة فى عصور سابقيه ، وتم تطبيق هذا القرار على كافة الممالك الانجليزية فيمـــا عدا نورثمبريا التى خضـــعت لسلطانه الفعلى فى السنوات الاخيرة من حياته كما ذكرنا آنفا • هذا وعوضا عن العملة الملغاة ، أصدر أوفا أمرا بسك عملة جديدة امتازت عن الاولى بزيادة الوزن ، وكانت غالبيتها تحمل اسم الملك أوفا فقط ، باستثناء القليل منها الذى حمل اسم الضارب أيضا (٩) • ولقد تنوعت عملات الملك أوفا من حيث الشكل والحجم ، ويلاحظ أن عملات بداية عصره قد حملت صورته ، وكانت ذات سمات خاصة ميزتها عن كافة عملات الانجلوساكسون • أما عملات أخريات عصره ، فقد أصبحت أقل جمالا رغم زيادة أوزانها قليلا عن سابقتها ، مع اختفاء صورته ونقش اسمه بحروف أكبر ، كما لو كان أوفًا يريد ابراز اسمه بصورة أكبر وأعظم من أقرانه الملوك • هذا ويعلق المؤرخ ستنتون على تلك التغييرات الهامة التى أحدثها أوفا فى مجال العملات أصدق تعليق فقال : « ان تاريخ العملات المتداولة فى انجلترا ، قد بدأ فى عصر الملك أوفا » (١٠) •

ومن الغريب أن عملات بداية عصر أوفا كانت تحمل على الظهر

---

(٩) Blunt, C. S., «The Coinage of OFFA» cf. «Anglo - Saxon Coins» ed, R.H.M. Dolly, London 1961, pp. 49 - 50; Stenton, op. cit., p. 222 & n. 3; Hobson, op. cit., p. 35; Kent, op. cit., p. 15.

(١٠) Stenton, op. cit., p. 223.

علامة الصليب المسيحية ، أما الوجه فكانت صورة الملك عليه ، أما عملات أواخر عصره ، فيلاحظ أنها فى البداية قد حملت علامة ليست بالصليب ، ولكنها مشابهة الى حد ما ، وضعت بحجم أصغر ثم تلاشت فى السنوات الأخيرة من عصره ! فضلا عن اختفاء صورته كما أسلفنا (١١) • ولا شك أن ذلك يعد دليلا قاطعا على صحة ماوصلنا اليه بصدد ترجيح اعتناق أوفا الاسلام ، ويضيف جديدا اليه •
أما العملات الذهبية التى أصدرها أوفا فهى تتمثل فى ذلك الدينار الذهبى الذى نقشت عليه عبارات التوحيد الاسلامية فضلا عن نقش اسم الملك أوفا باللاتينية OFFA REX ولقد امتاز الدينار بسمات خاصة جعلته فريدا فى نوعه قياسا الى كافة العملات الصادرة فى أوربا الغربية على وجه الاطلاق فى العصور الوسطى (١٢) •

---

(١١) نشر المؤرخ ب • هوبسون B. Hobson المتخصص فى علم النميات لوحتين تمثل الاولى احد بنسات بداية عصر اوفا منقوشا عليه اسم وصورة الملك على الوجه ، اما الظهر فقد نقش عليه شارة الصليب بشكل كبير واضح فى الوسط ، وتوضح اللوحة جمال ودقة نقوش عملات تلك الفترة كما ذكرنا عاليه • اما اللوحة الثانية فتشير الى بنس ضرب فى اخريات عصر أوفا ، ويلاحظ عدم وجود شارة الصليب الكبيرة كما كان الحال فى الفترة الاولى من عصره ، وحل محلها اسم ضارب العملة المدعو بابا Babba أما الوجه فقد نقش عليه اسم الملك اوفا بشكل دائرى حول دائرة صغيرة فى وسط المركز أنظـــر :

Hobson, op. cit., p. 35.

(١٢) سمع العالم عن هذا الدينار لاول مرة عام ١٨٤١ وذلك فى تقرير أعده السيد / أدريان دى لو نجبيرير Adrian de Longperier

=

مهما يكن من أمر ، بعد دراسة علمية مستفيضة للدينار ، يلاحظ جهل ضاربه باللغة العربية ، ومن ثم يتأكد لنا أن الدينار قد ضرب بدار السك الخاصة التى أنشأها الملك أوفا فى انجلترا، يؤكد ذلك الرأى وجود العديد من الاخطاء فى نقوش كتابات الدينار العربية على الظهر والوجه ، ونذكر بعض ما استطعنا الوصول اليه من تلك الاخطاء فيما يلى :

اولا : أخطـــاء الوجــه

١ ـــ كلمة « الـــه » فى السطر الاول من مركز الوجه ، نقش

=

وارسله الى جمعية هواة جمع المسكوكات والقلائد والاوراق المالية. واشار فيه الى انه قد « حصل على هذا الدينار بعد جهد جهيد من الراحل دوق دى بلاكاس Duse de Blacas اثناء اقامته فى مدينة روما » . هذا ويرجح اكتشاف هذا الدينار فى مدينة روما او احدى الضواحى القريبة منها ، بالرغم من عدم وجود دليل قاطع يؤيد هذا الراى أو ذاك . لعل اكتشاف هذا الدينار فى تلك المدينة قد جعل البعض يأخذ بالرأى القائل بأن اوفا قد ضربه من أجل دفع ضريبة أو منحة القديس بطرس المقررة عليه للكنيسة الرومانيـــة سنويا ، ذلك الرأى الذى اثبتنا عدم صحته فى حينه . فى هذا الصدد وللمزيد انظر : Blunt, op. cit., pp. 50 - 51 cf, also:

بلوك (مارك) : « مشكلة الذهب فى العصر الوسيط » ، المقالة الاولى فى كتاب بحوث فى التاريخ الاقتصادى ، ترجمة أ توفيق اسكندر ، اصدار الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة ١٩٦١ ، ص ٢٨ .

ضارب العملة الانجليزى حرف « الهاء المربوطة » فى شكل حرف « دال » •

٢ — أما كلمة « وحده » فى السطر الثانى من مركز الوجه ، فقد ورد حرف « الالف » بدلا من حرف « الواو » •

٣ — كذلك وردت « الهاء المربوطة » فى نفس الكلمه السابقة « وحده » فى صورة شاذة لم ترد فى أى من العملات العباسية التى ضرب أوفا ديناره على طرازها •

٤ — فى كلمة « له » بالسطر الثالث من مركز الوجه ، يلاحظ أن حرف « الدال » قد ورد بدلا من « الهاء المربوطة » •

ثانيــا : أخطــاء الظهر

١ — فى كلمة « الله » بالسطر الثالث من مركز الظهر ، وردت « الهاء » صحيحة كما هو الحال فى المسكوكات العباسية الذهبية التى ضرب الدينار على طرازها ، بعكس حالها فى كلمة « الــه » حيث وردت فى صورة « دال » فى السطر الاول من مركز الوجــه كما أسلفنا عاليه •

٢ — فى هامش الظهر وردت كلمة « وخمسين » خطأ ، فهى لا تتفق ومثيلاتها فى الدنانير العباسية المشابهة الطراز • فلقــد سجل حفار قالب السك حرف « الميم » كما لو كان « سنة للباء أو الثاء أو التاء » •

تلك أمثلة أوردناها على سبيل المثال لا الحصر ، وتؤكد أن

الدينار قد تم ضربه فى دور السك الخاصة بالملك أوفا فى انجلترا كما أسلفنا ، وبهذا ينتفى احتمال القول بأن الدينار قد زيف أو أقحم اسم الملك أوفا عليه اقحاما (١٣) • وفيما يلى نص كتابات النقوش العربية واللاتينية على دينار الملك أوفا :

اولا : الوجـــــه :

هامش :

محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كـــــله •

مــركز :

لاالـــه الا
اللـــه وحده
لا شريك لـــه

---

(١٣) انظر اللوحة رقم (١) الخاصة بدينار الملك أوفا ، والدينار العباسى الاصلى الذى ضرب دينـــاره على طـــرازه وللاسف لا توجـــد ســـوى تلك القطعة النـــادرة من دينـــــار الملك أوفـــا ، وهى محفوظة بالمتحف البريطانى • ولقد حصلنا على تصريح خـــاص بنشر صورة اللوحة المرفقة هاهنا • وجدير بالذكر ان الملك أوفا قد ضرب ديناره هذا على نمط دينار عباسى اصدره الخليفة المنصور بالله (١٣٦ ــ ١٥٨هـ / ٧٥٤ــ٧٧٥م) • وقد استمر تداول هذا الدينار فى عصور خلفائه من بعده والمعاصرين للملك اوفا وهم : المهدى (١٥٨ ــ ١٦٩هـ / ٧٧٥ ــ ٧٨٥م) ، وهارون الرشيد (١٧٠ ــ ١٩٣هـ / ٧٨٦ ــ ٨٠٩م) • ويرجح أن الضرب قد تم فى السنوات الاثنتى عشرة الاخـيرة من حكمه (٧٨٤ ــ ٧٩٦م / ١٦٨ ــ ١٨٠هـ) ، أى بعد أن وحد الامة الانجليزية ، وأصبح قـــوة =

ثانيا : الظهــر :

هامش :

بسم الله ضرب هذا الدينر سنة سبع وخمسين ومئه •

مــركز :

محمـــد

REX

رســـوك

OFFA

اللــــه

وهنا نجد أنفسنا أمام تساؤل ملح يطرح نفسه علينا فى طلب الاجابة ، ألا وهو : هل اعتنق الملك أوفا الاسلام ، فضرب هــذا الدينار تأكيدا لذلك ؟ أم أن هناك أسبابا أخرى ؟

قبل الاجابة ، ينبغى التنويه الى أن كافة المصادر والوثائق المعاصرة والمتأخرة زمنيا لم تشر البتة الى هذا الدينار من قريب أو بعيد ، وبالمثل أهملت دوائر المعارف العالمية والمعاجم والمراجع المتخصصة الاشارة اليه ، رغم أن غالبيتها قد أشارت الى عمــلات

=

ترهبها البابوية) ويخشاها شارلمان كما أسلفنا • انظر : عبد الرحمن فهمى محمد : موسوعة النقود العربية وعلم النميات (١ ــ فجر السكة العربية) ، دار الكتب ، القاهرة ١٩٦٥ ، لوحه ٣٤ (دينار عباسى ذهبى) رقم ١٥٥٥٧ (رقم السجل بالمتحف الاسلامى ١٨٣٣٨ ذهب ــ وزن ٢٣٠ر٤ القطر ١٩) وايضا انظر :

Brooke, G. C. English Coins from the Seventh Century to the present day, London 1932, pp. 22.

الفترة المبكرة من عصره • ومن الغريب ــ اضافة الى ما سبق ــ أن المؤرخين المعنيين الحديثين رغم امكانية تفهمهم معانى نقوش عبارات التوحيد الاسلامية الخاصة بالدينار بطريقة أو بأخرى ، فاننا نجدهم من ناحية أخرى قد تغاضوا كلية عن الاشارة الى تلك العبارات ، باستثناء البعض منهم الذين رغم اشارتهم الى تلك العبارات الاسلامية فانهم قد مروا عليها مرور الكرام دون تعليق يذكر رغم خطـورة مدلولاتها ، ورغم تفهم بعضهم بل واجادته اللغة العربية قراءة وكتابة مما يجعل المرء يتسـاءل عما اذا كان هذا الاهمـال متعمدا من أجل طمس حقيقة تاريخ هذا الملك العظيم لاعتناقه الاسلام ؟

الحقيقة ان الشواهد التاريخية ترجح أن الملك أوفّا قد اعتنق الاسلام وسواء أكان قد اعتنقه وحده ، أم هو وأفراد أسرته وكبار رجال حاشيته ، فالثابت أن البابوية ورجال الكنيسة الرومانية قد جن جنونهم ، وخططوا مع شارلمان للتخلص من أوفا كما أوضحنا من قبل • ولعل ذلك يفسر سبب اختفاء كافة وثائق عصر الملك أوفا دون غيره من الملوك الانجليز ، رغم عظم مكانته باعتراف كـافة

(١٤) انظر دوائر المعارف والمراجع الاتية :
Atiya, A. S., Crusade, Commerce & Culture, N. Y. 1966, p. 169; Kent, op. cit., p. 15 & plate No. 5; Hobson, p. 35; D. U., p. 1382; E.B., vol. VI, p. 800; N. A. E., vol. VI, p. 453; A. A. E., vol. 14, p. 355; O. C. E. L., p. 562; N. E. B., vol. VIII, p. 488, C. E., vol. XI, p. 215; Ch. E., vol. X, p. 194.

دوائر المعارف العالمية ، والمراجع المتخصصة ، ولا شك أن ضياعها مرده قيام رجال الكنيسة الانجليزية بجمع كافة الوثائق والتخلص منها بتحريض البابوية ضمانا لطمس معالم تاريخ أوفا وجعله نسيا منسيا .

وهنا لابد من التوقف برهة لمناقشة كافة الاراء التى قيلت فى تبرير ضرب الملك أوفا لديناره هذا ، للتأكد من مدى صدقها أوعدمه،علىضوء ما سبق سرده من تفصيلاتأحداث عصره وانجازاته فى كافة الميادين العمرانية والتشريعية والثقافية والتجارية من جهة، وعلى ضوء علاقاته بكل من البابا وشارلمان والخلافة العباسية من جهة أخرى ، آملين الوصول الى الحقيقة التاريخية المنزهة عن أى غرض آخـــر .

الثابت أن دينار الملك أوفا كان ولازال حتى ســاعتنا هذه موضوع بحث ودراسة مستفيضة من العديدين المهتمين بدراســة تاريخ أوربا فى العصور الوسطى وعلم النمّيات بصفة عامة . هذا ، ولقد عزا البعض سبب سك هذا الدينار الى رغبة الملك أوفا فى دفع المنحة أو الضريبة المقررة عليه سنويا للكنيسة الرومانية والمعروفة باسم بنس بطرس Peter's Pence (١٥) . وهناك رأى آخر يقول بأن الملك أوفا قد ضرب هذا الدينار « اشباعا لحـــالة نفسية انتابته ، وتحقيقا لرغبة جامحة سيطرت عليه ، ودفعته لضربه تشبها بالدينار الاسلامى ذى المكانة العالمية فى عالم تجارة العصور الوسطى » ثم عللت هذا العمل لرغبته « فى الظهور والشهرة والتفاخر

(١٥) Stenton, op. cit., p. 224.

بين أقرانه من الملوك المعاصرين بمقدرته على سك مثل هذا الدينار (المنقوش mancus) من أجل تقديمه الى البابوية وفاء للمنحة المقررة عليه سنويا » ، مما يتفق والرأى السابق الذكر عاليه • ويعزى أصحاب هذا الرأى سبب الضرب الى رغبة الملك أوفا فى « ايلام البابوية وعقابها » ! وهناك فريق آخر يقول بأن الدينار قد زوره البعض وأقحم اسم الملك أوفّا عليه ، ومن ثم نسب اليه زورا وبهتانا دون توضيحهم أسباب أخذهم بهذا الرأى (١٦) • وجدير بالذكر أننا أوضحنا بالدليل القاطع عدم صحة هذا الرأى ، وأيدنا ذلك بما أثبتناه من أنه قد تم ضربه فى دور سك العملة الخاصة بالملك أوفا فى انجلترا كما أسلفنا (١٧) •

أما بالنسبة للرأى القائل بأن أوفا سك الدينار لدفع المنحة أو الضريبة السنوية للبابوية (المعروفة باسم بنس القديس بطرس) فهو رأى غريب لا يتفق والمنطق السليم ، اذ كيف يتقبل الباحث المنصف القول بسداد الجزية أو المنحة السنوية للبابا بمثل هذا

---

(١٦) لخص وأورد تلك الاراء س ٠أ٠ بلنت وذلك بعد اطلاعه على كافة المراجع التى تناولت دينار الملك أوفا بالدراسة والتحليل • أنظر تلك الاراء فى :
Blunt, pp. 49 - 51, 62; cf. also: Allan, J., cf. N. C., 1914, p. 7 ff.; Allen, D. F., cf. B. N. J., vol. 25, 111, 1948, pp. 267 - 269; Beltran p., cf.; Centennial Publication of the American Numismatic Society, 1958, pp. 83 - 88.

(١٧) انظر ما سبق ص ١٠٩ ــ ١١٢ •

الدينار ذى عبارات التوحيد الاسلامية ! خاصة وأنها فى نظرهم عبارات كفر وهرطقة وخارجة عن الايمان الصحيح قلبا وقالبا ! (١٨).

وبالمثل ، تجد الرأى الثانى مرفوضا كلية ، خاصة وأن أصحابه دللوا على صدق رأيهم بالقول « بجهل الملك أوفًا ومستشاريه بمعانى عبارات التوحيد الاسلامية عندما قدمت البابوية » ، وفاء للمنحة أو

---

(١٨) لعلنا نجد فى مواقف البابوية والكنيسة الرومانية المعادية لمثل تلك العبارات الاسلامية فيما بعد عصر أوفا ابان الحروب الصليبية ما يؤكد رفض الرأى القائل بدفع أوفا الجزية السنوية بهذا الدينار. ولقد حدث ان ضرب الامراء الصليبيون فى طرابلس وصيدا عملات عليها اسم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والتاريخ الهجرى . فرفض مندوب البابا المصاحب لحملة لويس التاسع انذاك تلك العملة ، واصدر قرارا بالحرمان ووافقه البابا انوسنت الرابع (١٢٤٣ — ١٢٥٤م) فى قراره ، وأصدر قرارا بتحريم هذه العملة كلية ، وأمر بضرب عملات ذات عبارات صليبية . وهكذا يتأكد لنا صحة ما وصلنا اليه عن رفض البابا قبول مثل هذه العملة نظير الوفاء بالجزية المطلوبة من أوفا سنويا ، كما اشارت المراجع . فى هذا الشأن وللمزيد عن تلك العملات وأهمية الدنانير العربية فى التجارة العالمية ، انظر :

Schlumberger, G., Numismatique de L'Orient Latin, Paris 1878, pp. 139 - 140; Prawer, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, London, 1972, pp. 282 ff.; Atiya, op. cit., pp. 16 - 167; cf. also:

مصطفى حسن الكنانى . العلاقات بين جنوة والشرق الادنى الاسلامى (١١٦١ — ١٢٩١م /٥٦٧ — ٦٩٠هـ) ، الاسكندرية ١٩٨١ ، ص ٣١٢ — ٣١٦ والحواشى .

الجزية السنوية المقررة على مرسيا ! (١٩) واذا افترضنا جدلا صحة رأى ج • ألان J. Allan هذا ، وقلنا بجهل الملك أوفا ومستشاريه بمضمون عبارات التوحيد الاسلامية تلك ، فأين كان كبار رجال الكنيسية الانجليزية وماذا كان رد فعلهم تجاه اصدار تلك العملة ، وخروجها الى حيز النور فى مجال المعاملات التجارية ؟ هذا ، واذا علمنا أن رجال الكنيسة الانجليزية وعلى رأسهم البابا الرومانى كانوا على شقاق دائم مع الملك أوفا ، وكانوا دوما يتربصون به الدوائر كما أسلفنا ، لذا ، لا يمكن القول بأى حال من الاحوال بجهل البابوية ورجال الكنيسة الانجليزية بمفهوم تلك العبارات ، وصمتهم

---

(١٩) فى هذا الصدد وللمزيد أنظر : Allan, op. cit., p. 77 ff.
وجدير بالذكر ان الصليبيين فى الشرق قلدوا الدنانير الفاطمية المعروفة بارتفاع وزنها ونقاء عيارها ، ثم قلدوا مثيلاتها الايوبية فيما بعد وعرف المؤرخون الدينار الصليبى المقلد باسم Besant Sarracenat وعرفه العرب باسم الدينار الصورى ، وكان يزن ثلثى الدينـــار الاسلامى المقلد تقريبا • وأول دنانير صليبية مقلدة للدينار الفاطمى حملت الحرفين B. T. وأحيانا كان الصليب ينقش عليها ، وأحيانا أخرى لا ينقش • وتفسر بعض المراجع المتخصصة الحرفين بأنهما اختصار لكلمتى برتراند Berterand وتانكـــرد Tancred ، ولربما كان الحرف T. يرمز الى صور Tyre أو طرابلس Tropoli وحـــرف B. قد يعنى برتراند أو بيروت Beirut ويلاحظ أنه رغم تحريم البابوية القاطع لهذه الدنانير الا ان الايطاليين ضربوا عملات صليبية المضمون بها عبارات التثليث بدلا من عبارات التوحيد الاسلامية وذلك باللغة العربية مع وجود الصليب فى المنتصف ، واحتفاظها بالاطار العام للدنانير الاسلامية
=

التام حتى يتم تداولها فى الاسواق أمام ناظرهم ، بل والاغرب من ذلك قبولهم اياها وفاء لمنحة القديس بطرس كما قيل ! ولعلنا نجد فى رأى آخر قاله المؤرخ س ٠أ٠ بلنت ما يؤيد ما وصلنا اليه ، اذ قال : « ••• ولكننا اذا أخذنا بالرأى القائل بجهل الملك أوفا بحقيقة مضمون نقوش عبارات التوحيد الاسلامية على الدينار ، فان الحال يختلف تماما بالنسبة لكبار المسئولين من رجال الكنيسة والعلمانيين فى مختلف الادارات الدينية والمدنية ، اذ لا يمكن القول بجهلهم هم ايضا ، وعـدم تفهمهم مضـمون تلك العبـارات » وخطورتها (٢٠) • وجدير بالذكر أن المؤرخ بلنت بعد أن انتقد الرأى الانف الذكر ، خرج برأى آخر جديد فى صدد تبرير ضرب هذا الدينار ، قال : « ••• الثابت أن الدنانير العربية قد سادت عرش التجارة العالمية غرب البحر المتوسط ، ولعدم وجود دليل واضح يحسم أمر حقيقة هدف الملك أوفا من ضرب هذا الدينار ، فان من

=

ولعلنا نجد فيما سبق ما ينفى القول بقبول البابا منحة القديس بطرس المقدمة من أوفا كما يقولون بمثل هذا الدينار الاسلامى السمات ككل ، انظر :

Schlumberger, op. cit., pp. 130 - 140; Lavoix, H., Monnais a Legendes Arabes frappees en Syrie par Les Croises, Paris 1877, pp. 40 ff; Balog (p.) et Yvon (J.), Monnais a Legendes Arabes de L'Orient Latin, (cf. La Revue Numismatique, 6 eme Serie, T. 1, 1958), p. 137 ff.

(٢٠) Blunt, op. cit., p. 51.

الافضل الاخذ بالرأى القائل بأن الضرب كان من أجل التعامل به فى التجارة الخارجية » مع المسلمين بالطبع (٢١) •

هذا ، وقبل مناقشة مدى صحة رأى بلنت الآنف الذكر ، فمن الاهمية بمكان الاشارة الى أن الدينار الاسلامى أو المنقوش mancus كما عرفه الغربيون ، كانت له قيمته ، وكان يتصدر عرش المعاملات التجارية فى العالم الوسيط ، بسبب ارتفاع وزنة ونقاء عياره قياسا بغيره من الدنانير اللاتينية المقلدة له • ورغم المحاولات التى بذلت لتقليده ، فالثابت أن التجار المسلمين وكذلك كبار التجار الايطاليين رفضوا التعامل بغير الدنانير الاسلامية الاصلية المضمونة العيار والوزن • لذا ، اضطر كافة تجار أوربا ، وبالمثل التجار الانجلوساكسون الى التعامل بالدنانير الاسلامية دون غيرها ، ومن ثم فلم يكن هناك داع يدعو الملك أوفا لضرب ديناره هذا من أجل التجارة كما يقولون • هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، ينتفى الاخذ بما قاله بلنت فى هذا الشأن • وآية ذلك ، ما ذكره «موريس لومبار» فى سياق حديثه عن أهمية الدنانير الاسلامية الاصلية ، وتفضيل التجار الانجليز وغيرهم من الافرنج التعامل بها مع التجار المسلمين وعدم التعامل بمثيلاتها المقلدة الاوربية الضرب ، اذ قال : « ••• أن هذه السكة المقلدة لم تكن على نطاق واسع ، لان الذهب القادم من البلاد الاسلامية الى الغرب الاوربى كان فى صورة نقود مسكوكة ،

---

(٢١) Blunt, op. cit., Loc. cit.

فاستخدمته أوربا البربرية كما هو ، واستخدمته فى دفع ثمن الواردات من الاسواق الخارجية سواء أكانت من الاسواق الاسلامية ، أو أسواق روسيا « امارة كييف أو أسواق البندقية وبيزنطة » (٢٢) •

ان أحدا لا ينكر قوة التواجد الاسلامى التجارى فى أغلب دول أوربا بما فيها انجلترا الانجلوساكسونية فى العصور الوسطى منذ نهاية القرن السابع الميلادى ، بدليل اكتشاف العديد من العملات الاسلامية ، فضلا عن تأكيد المراجع لهيمنة الدينار الاسلامى المعروف بالمنقوش على عرش التجارة العالمية ، على حساب الصلدى **Soldus** الذهبى الذى توقف استخدامه فى أوربا الغربية بما فيها انجلترا الانجلوساكسونية ، منذ بداية النصف الثانى من القرن الثامن الميلادى / النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى (٢٣) ، مما يؤكد عظم وقوة أثر التواجد الاسلامى التجارى فى أوربا الغربية بعامة ، وانجلترا الانجلوساكسونية ابّان عهد الملك أوفا بخاصة •

---

(٢٢) لومبار (موريس) : « الاسس النقدية للسيادة الاقتصادية ، الذهب الاسلامى منذ القرن السابع الى القرن الحادى عشر الميلادى » ، المقالة الثانية فى كتاب بحوث فى التاريخ الاقتصادى ، ترجمة توفيق اسكندر ، اصدار الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة ١٩٦١ ، ص ٧٣ — ٧٤ •

(٢٣) فى هذا الشأن ، وللمزيد عن هيمنة التجار المسلمين والدينار الاسلامى على عرش التجارة العالمية فى العصور الوسطى ، وتواجدهم فى أوربا وانجلترا انظر : لومبار : السابق ، ٧٣ — ٧٨ ، وايضا : Atiya, op. cit., pp. 167 - 169.

ولما كان الاوربيون يفضلون التعامل مع التجـار المسلمين بالدنانير الاسلامية الاصلية بسبب رفض الاخيرين التعامل بغيرها ، لذا ينتفى الاخذ بالرأى القائل بأن أوفـّا قد سكّ ديناره من أجل التعامل به فى التجارة الخارجية . ويلاحظ أن بلنت نفسه قد عاد وشكك فى رأيه السابق ، اذ قال بأنه قد « رجّح هذا الرأى (أى أن السك كان من أجل التعامل التجارى فى الخارج) لعدم وجود دليل واضح يحسم أمر حقيقة ضرب هذا الدينـار » ، وأخيرا عاد بلنت ونفى احتمال الاخذ برأيه السابق ، حيث خرج علينا برأى آخر مردود أيضا ، ويتناقض كلية مع ما قاله من قبل ، اذ قال : « ... الا أن احتمال القول بأن الملك أوفا قد ضرب هذا الدينار لاغراض دعائية خاصة ، يجب أن ينظر اليه بعين الاعتبار » (٢٤) . دون أن يذكر المقصود بقوله بأن الضرب كان « لاغراض دعائية خاصة » . ولعلنا على ضوء ما سبق ذكره عن أمجاد الملك أوفـا وانجازاته الهائلة فى شتى نواحى الحياة فى انجلترا ، فضلا عـن شهرته التى جابت الافاق كرجل دولة ودبلوماسى محنك من ناحية، ورهبة شارلمان والبابوية منه ، واعتراف الاول بعظمته ومعاملته له معاملة الند للند من ناحية أخرى ، نجد لدينا ما يؤكد عدم حاجة أوفـّا للدعاية بمفهومها المعروف أما اذا كان بلنت يقصد — دون الافصاح

---

(٢٤) Blunt, op. cit., p. p. 51.

عما فى قراره نفسه خوفا من الكنيسة ـــ الدعاية من أجل اعلان أوفا اعتناقه الاسلام جهاز نهارا ، فهذا هو التفسير المنطقى الذى يجب أن نأخذ به وحده دون غيره ، وان صح هذا الرأى ، فاننا نكون قد أضفنا دليلا جديدا يؤكد صحة ترجيحنا اعتناق أوفا الاسلام من جهة ، وكراهية البابوية ورجال الكنيسة وشارلمان له ، وتخطيطهم للتخلص منه من جهة أخرى كما أسلفنا •

وهنا ثمة تساؤل يلوح فى الأفق ملوحا بطلب الاجابة ، وأعنى اذا كان أوفا فعلا قد اعتنق الاسلام ، فكيف تم ذلك ؟ وعن أى سبيل وصلت الى مسامعه الدعوة لاعتناقه ؟ • قبل الاجابة يجب أن نعرف بادىء ذى بدء أن الاكتشافات الاثرية قد أكدت عمق جذور العلاقات التجارية بين الشرق الادنى الاسلامى والقارة الاوربية بعامة ، وشمال أوربا وانجلترا بصفة خاصة ، ليس منذ نهاية القرن السابع الميلادى كما أسلفنا فحسب ، بل انها كانت أعمق جذورا من تلك الفترة كذلك • وأعنى أن المصادر والمراجع تؤكد أن البريطانيين كانوا على صلة تجارية بالشرق فى العصر الرومانى حيث استوردوا البردى ودهان البلسم والقرفة والزنجبيل والعطور والبخور من مصر وبلاد الشرق بعامة (٢٥) • وبالقطع لابد أن تلك العلاقات قد ازدادت قوة ونمت بين الشرق وبريطانيا بعد ظهور الاسلام وانتشاره من جانب ،

---

(٢٥) Richmond, I. A., Roman Britain, London 1971, p. 180.
وللمزيد عن نشاط بريطانيا التجارى مع الشرق وكافة دول حوض البحر الابيض المتوسط فى العصر الرومانى ، انظر ١٢٠ والحواشى، وأيضا أنظر :

Richmond, op. cit., pp. 142 - 185.

وبعد قدوم الانجلوساكسون اليها ، واقامة ممالكهم كما أسلفنا بصفة عامة ، وفى عصر الملك أوفا بخاصة من جانب آخر . اذ الثابت أن تلك العلاقات قد قويت وازدهرت فيما بين انجلترا وبين الخلافة العباسية فى تلك الآونة ، ولابد أنه كان هناك تبادل للسفارات فضلا عن التبادل التجارى ، الذى استتبعه قدوم التجار العرب الى انجلترا لادارة أمور تجارتهم وتصفية حساباتهم المختلفة ، حاملين معهم كافة أنواع السلع الشرقية ، ثم عودتهم أدراجهم الى بلادهم حاملين معهم شتى أنواع البضائع والسلع الانجليزية والأوربية . ولاشك أن منافسة أوفا شارلمان على السيادة آنذاك وشعوره بأنه ند قوى له قد جعل الاول يحذو حذو الأخير بتعميق روابطه التجارية فضلا عن علاقاته السياسية مع العباسيين ، تلك العلاقات التى قويت أواصرها بصفة خاصة أيام خلافة هارون الرشيد ، والذى أكدت المصادر قوة علاقات شارلمان معه ، وتبادله واياه الهدايا والسفارات المختلفة (٣٦) . يؤيد ذلك الرأى ، رأى آخر مشابه ذكره فرانك ستنتون ، اذ انه أشار الى أن سمات دينار الملك أوفا الاسلامية العباسية الطراز « تؤكد بقوة وجود علاقات تجارية

---

(٣٦) عن قوة علاقات شارلمان بهارون الرشيد وتبادلهما الهدايا والسفارات انظر :

Einhard &Notter the Stammerer, Two Lives of Charlemagne, trans. with an Introduction by Lewis Thrope, London 1974, pp. 70., 143 - 149.

وطيدة فيما بين انجلترا والخلافة العباسية فى عصر الملك أوفا »(٢٧) مما يحتم تواجد نوع من تبادل السفارت والمبعوثين الرسميين مع الخلافة العباسية ، لتقوية روابط انجلترا والعلاقات التجارية فيما بينها وبين الخلافة العباسية ، فضلا عن تشجيع التبادل التجارى بين الطرفين ، مع احتمال كبير لعقد هؤلاء المبعوثين عدة اتفاقيات تجارية مع انجلترا على نمط تلك التى عقدها أوفا مع شارلمان كما ذكرنا من قبل • اضافة الى ذلك يمكن القول بتدفق التجار المسلمين بسفنهم ، وانطلاقهم فى أنحاء المدن والموانى الانجليزية زرافات ووحدانا لبيع مامعهم وشراء ما يحتاجون اليه •

هذا ، ولما كان التجار المسلمون ليسوا مجرد تجار فحسب بل كانوا دعاة اسلاميين فى نفس الوقت وعلى علم تام بكافة الامور الفقهية وأصول الدعوة والشريعة الاسلامية ككل ، فضلا عما اتسموا به من حسن خلق وسلوك قويم واستقامة وأمانة ، لذا كانوا بحق خير مثال يمثل المسلم القدوة فأعطوا المجتمعات التى تاجروا معها

---

(٢٧) عزى ستنتون ضرب دينار الملك أوفا المشهور ، الى قوة علاقاته التجارية بالعباسيين ، وقال أن تلك العلاقات « قد بررت انتاج الملك أوفا لعملة ذهبية يمكن تداولها فى الاسواق ، بحيث تكون مقبولة لدى التجار المسلمين بالقطع حتى يقبلوا التعامل بها » الا ان هذا الرأى قد سبق أن تناولناه وأكدنا خطأه • انظر ما سبق ص ١١٨ — ١٢٢ والحواشى ، أنظر :

Stenton, op. cit., p. 223.

صورا مشرقة عن الاسلام والمسلمين وسماحتهم ، ودعوها الى عبادة الواحد الاحد الفرد الصمد ، من منطلق ايمانهم بعالمية الدعــوة الاسلامية ، وتيقنهم بأن هداية الناس الى الحق فرض ، على كل مسلم القيام به كلما استطاع الى ذلك سبيلا ، أملا فى حصولهم على ماهو « خير ... من حمر النعم » (٢٨) واضعين نصب أعينهم قول الحق جل وعلا لرسوله الكريم ، بسم الله الرحمن الرحيم : « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعـــــلمون » (ســبأ ــ ٢٨) ، وقــوله جــلت قــدرته

---

(٢٨) فى يوم خيبر أعطى الرسول ﷺ الراية الى على بن أبى طـــالب رضى الله عنه ، وبعد أن بشره بالفتح ، طالبه بالسير اليهـــم بأدب وأناة ، ثم بدعوتهم الى الاسلام بعد أن يوضح لهم حقوق ومعنى عبادة التوحيد (لااله الا الله) ، ثم اختتم صلوات الله وسلامة عليه حديثه الى على بقوله « ... فوالله لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم » . وحمر النعم بسكون الميم وضم الحاء تعنى الابل الحمر ، وهى أنفس الثروات عند العرب . وفى الحديث ترغيب وحث على الدعوة الى الله ، ليحصل الداعى الى الوحدانية على هذه الفضيلة العظيمة . انظر نص الحديث فى صحيح البخارى ، (باب غزوة خيبر) ، طبعة الشعب ، القاهرة (بدون تاريخ) جـ٥ ، ص ١٧١ ، صحيح مسلم ، (باب من فضائل على رضى الله عنـــه) ، طبعة عيسى الحلبى ، القــاهرة (بدون تاريخ) ، جـ٢ ، ص ٣٦١ ، محمد بن عبد الوهاب : كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد ، نسخة تحتوى على تعليقات حفيده تحت عنوان (قرة عيون الموحدين فى تحقيق دعوة الانبياء والمرسلين) ، (حساب الدعاء الى شهادة أن لا اله الا الله) ، القاهرة بدون تاريخ ، ص ٣٥ ــ ٤١ والحواشى .

بسم الله الرحمن الرحيم : « ياأيها النبى انَّا أرسلناك شـــاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » (الاحزاب ٤٥ ـ٤٦) ، وآية ذلك الرأى انتشار الاسلام بفضل جهود هؤلاء التجار الدعاة فى بلدان وجزر جنوب شرق آسيا والمحيط الهندى، فضلا عن بلاد شرق وغرب ووسط أفريقيا أيضا •

من هذا المنطلق ، ليس ثمة ما يمنع من وجـــود نوع من الاتصالات المباشرة بين بعض من كبار هؤلاء التجار المسلمين وبين أوفا ، ناقشوا خلالها معه مفهوم عبارات التوحيد الاسلامية المنقوشة على الدينار العباسى بعد أن بهرته نقوشها ، فكان أن أوضح هؤلاء التجار الدعاة معانيها له مع عرضهم عليه فكرة اعتناق الاســلام ومناقشتهم اياه فى كافة الامور المتعلقة بطبيعة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ومكانة أمه العذراء البتول الصديقة مريم رضى‌الله عنها ، مترسمين خطى جعفر بن أبى طـالب رضى الله عنه مـع النجاشى ملك الحبشة ، ونجاحه فى اقناعه باعتناق الاسلام (٢٩) ، فكان أن اقتنع الملك أوفًا بالاسلام ، فأسلم وجهه لفاطر السموات والأرض • ولعله آمن به وحده أو مع أسرته وكبار معاونيه فى

(٢٩) النويرى : نهاية الأرب فى فنون الأدب ، وزارة الثقافة والارشاد ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب القاهرة ١٩٥٤ ، جـ١٨ ، ص ١٥٧ ـ ١٥٨ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، الاسكندرية ١٩٧٥ ، ص ٢٨ ـ ٣٠ •

بداية الامر ، مع كتمه الامر سرا الى حين اصداره أوامره بسك تلك العملة الذهبية ، والتى احتار المؤرخون الحديثون فى تفسير أسباب سكها • هذا ، ومن الممكن القول باحتمال أن بعض أفراد السفارات المتبادلة فيما بين الخلافة العباسية وبين الملك أوفا قد عرضوا عليه فكرة اعتناق الاسلام ، فآمن بعد اقتناع ، ومن تم كان نقش اسمه مع عبارات التوحيد الاسلامية (لا اله الا الله وحده لا شريك له ، محمد رسول الله) على ديناره هذا من جهة فضلا عن قراراته برفع شارة الصليب وصورته من نقوش عملاته من جهة أخرى ، محصلة طبيعية لاقتناعه هذا •

مهما يكن من أمر ، وسواء صح هذا الترجيح أم ذاك ، يمكننا هاهنا الاخذ بالرأى القائل بأن أوفا أصدر ديناره هذا « اشباعا لحالة نفسية انتابته وتحقيقا لرغبة جامحة سيطرت عليه » (٣٠) • ولعل صاحب هذا الرأى قد اقتنع فى قرارة نفسه باعتناق أوفا الاسلام ، الا أن ضغوط الكنيسة والتعصب الاعمى ضد الاسلام جعله لا يلتزم بالحيدة الواجب توافرها فى المؤرخ المنصف ، مما حال بينه وبين البوح بمكنون صدره •

هذا ويحضرنى فى هذا الصدد الاشارة الى أن هناك مؤرخا

---

(٣٠) انظر ما سبق ص ١١٤ — ١١٥ •

من أشهر مؤرخى أوربا فى العصور الوسطى ، فضلا عن تعمقه فى تاريخ الحضارة الاسلامية • قد تناول تاريخ العلاقات التجارية بين المسلمين والغرب الاوربى الوسيط ، فأورد ما يؤكد تربع العملة العربية على عرش التجارة العالمية آنذاك ، لدرجة أن ملوك أوربا قلدوها ، ضاربا المثل بدينار الملك أوفا فقال : « ••• ان العملة الذهبية المشهورة التى ضربها الملك أوفا ملك مرسيا (٧٥٧ — ٧٩٦م) قد نقش على أحد وجهيها اسمه باللغة اللاتينية من اليمين الى اليسار OFFA REX على طراز الكتابة العربية ، أما الوجه الآخر فقد حمل نقشا عربيا ، وهذه العملة تعد تقليدا واضحا للدينار العربى ، مما يؤكد قوة نفوذ وهيمنة التجار العرب وعملتهم على عرش التجارة العالمية فى تلك الآونة » (٣١) •

والغريب الملاحظ فى تلك الرواية أننا اذا كنا نلتمس الاعذار للمؤرخين الغربيين على اختلاف جنسياتهم أو عقائدهم لعدم المامهم باللغة العربية ، رغم امكانية تفسيرهم لمعانى نقوش الدينار بطريقة أو بأخرى كما أسلفنا ، الا أن الحال هاهنا يختلف كلية ، فصاحب تلك العبارة يجيد العربية الفصحى كتابة وقراءة ، بل وعلى علم تام بما جاء فى الكتاب والسنة بحكم تخصصه فى دراسة تاريخ الحضارة الاسلامية • ومن ثم لا يعقل بأى حال من الاحوال أن يكون قد عجز

---

(٣١) Atiya, op. cit., p. 169.

عن تفسير مفهوم عبارات التوحيد الاسلامية (لااله الا الله وحده لا شريك له — محمد رسول الله) المنقوشة على وجهى الدينار. كذلك نستبعد عدم قدرته على السفر الى انجلترا والاطلاع على نسخة الدينار الوحيدة المحفوظة بالمتحف البريطانى ، مما يشير الى دلالات هامة لها مغزاها الكبير فى صدد تبرير سك أوفا لهذا الدينار. ولاشك أن هناك أحد احتمالين لا ثالث لهما ألا وهما : اما أن يكون صاحب تلك الرواية قد نسى الاشارة الى مدلول عبارات التوحيد الاسلامية أو تناساها . والاحتمال الاول مرفوض تماما لالمامه بلغة الضاد كما أوضحنا ، أما الاحتمال الثانى فهو الاكثر ترجيحا ، ولعله قد اقتنع فى قرارة نفسه باعتناق أوفا الاسلام ، ولكن لعدم وجود نص صريح من أى من المصادر أو الوثائق فى متناول يده يؤكد ذلك ، تعمد تجاهل الاشارة الى مفهوم تلك العبارات الى حين حصوله على ما يدعم به رأيه . وخلاصة القول وسواء أكان أى من الاحتمالين صحيحا أم غير صحيح ، فما لاشك فيه أن عدم اشارته فى حد ذاتها تؤكد صحة ما وصلنا اليه من ترجيح اعتناق أوفا الاسلام ويضيف جديدا اليه (٣٢) .

---

(٣٢) جدير بالذكر أن صاحب الرواية المذكورة عاليه ، عند اشارته الى حركة الجهاد المقدس لدى المسلمين ، قد أورد عبارة مؤداها احترام النبى محمد ﷺ « الانبياء السابقين ، ولم ينكر الاسلام تعاليمهم أو كتبهم المقدسة » ، ثم استطرد مشيرا الى التحريف الذى ادخل على التوراة والانجيل ، واختتم عبارته مشيرا الى حتمية زيارة =

.. ..

=

المسلم للاماكن المقدسة ، ثم ذكر حديثا للرسول ﷺ بطريقة مشوهه لها دلالاتها الخطيرة اذ قال « ويؤكد احد المؤلفين أن صلاة واحدة تقام فى المسجد الاقصى تعادل الف صلاة فى غيره من المساجد » ولا شك انه اخذ حديثا رواه ابو هريرة وعائشة رضى الله عنهما وكتبه بالصورة التى اشرنا اليها • وصحة الحديث • قال رسول الله ﷺ — وليس احد المؤلفين كما قال — « صلاة فى مسجدى خير من الف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الاقصى » •

انظر : المنذرى الترغيب والترهيب ، مكتبة الدعوه الاسلامية القاهرة ، بدون تاريخ ، ج٢ (باب الترغيب فى الصلاة فى المسجد الحرام ومسجد المدينة وبيت المقدس) حديث رقم ١٣ ، ص ١٣٨ ، انظـــر :

Atiya, op. cit., p. 133.

بسم الله الرحمن الرحيم

« وقد مكروا مكرهم ، وعند الله مكرهم ، وان كان مكرهم لتزول منه الجبـــال »

(ابراهيم : ٤٦)

الفصل الثالث

ســـور أوفـــا العظـــيم ودلالاته

(٧٨٤ — ٧٩٦م)

ـ تخطيط وطبوغرافية الســـور .

ـ حروب أوفا ضد البريطانيين فى ويلز ، ونتائجها .

ـ مختلف الآراء حول أسباب البناء ، ودلالاتها .

ـ اهمال المصادر والمراجع الاشـــارة الى ظروف موت الملك أوفا المفاجىء ، ومكان دفنه ، ودلالاته .

ـ محاولة الملك حنا (جون) اعتناق الاسلام ، ترسما لخطى الملك أوفا من قبله ، ودلالاتها ونتائجها .

على امتداد الفصلين السابقين ، وبعد أن استعرضنا جهود رجل السياسة والحروب أوفا ، التى بذلها فى الحقل الدبلوماسى والميدان العسكرى على امتداد عصره (٧٥٧ — ٧٩٦م) ، من أجل توحيد الممالك الأنجلوساكسونية تحت قيادته،وردودفعل البابوية وشارلمان المضادة ، وكراهيتهما له بسبب اعتناقه الاسلام كما رجحنا من جهة ، وبعد ان أمطنا اللثام عن دوره الحضارى كرجل دولة ومصلح اجتماعى ، بالاشارة الى الجهود التى بذلها للنهوض بالتجارة والثقافة والتعليم والجيش ، فضلا عن اصلاحاته التشريعية والمالية التى أنجزها ، رفعا لمستوى معيشة الانجليز ، وحماية لمكاسبهم السياسية والاقتصادية التى حصلوا عليها فى عهده من جهة أخرى ، ينبغى أن نتناول بالدراسة هاهنا أهم سمات علاقات أوفا بالبريطانيين فى ويلز Wales، من خلال الاشارة الى سوره العظيم الذى أقامه على حدوده معهم ودلالاته الهامة ، لما فى ذلك من أهميته فى كشف بعض جوانب البحث الغامضة ، وسد فجواته •

فمن الملاحظ أن الملك أوفا قد أقام سورا ضخما على امتداد حدوده مع ويلز ، اصطلح المؤرخون على تعريفه باسم سور أو خندق الملك أوفا OFFA'S DYKE ويعتبر هذا السور من وجهة النظر الهندسية أعظم عمل انشائى أقيم على سطح الأرض فى أوربا على امتداد تاريخها القديم والوسيط •

وللأسف الشديد ، وكما هى العادة بالنسبة لوثائق عصر الملك أوفّا التى ضاعت ، لم ترد عن هذا السور أية اشارة تذكر فى أى من المصادر المعاصرة . ولولا اشارة عابرة ذكرها الراهب الويلزى آسر Asser كاتب سيرة الملك ألفريد العظيم Life of King Alfred (٨٧١ — ٨٩٩م) ، أوردها وفى كتاباته بعد مائة عام من وفاة الملك أوفّا ، ما عرفنا شيئا ألبتة عن بناء أوفّا لهذا السور العظيم ، قال آسر : « لقد أقام الملك أوفّا سورا عظيما Vallum Magnum من البحر الى البحر فيما بين بريطانيا (يعنى ويلز) ومرسيا » (١) .

هذا ، ولقد احتار المؤرخون كدأبهم وعجزوا أمام « شخصية أوفّا الغامضة » عن تبرير أسباب بناء أوفّا لهذا السور الضخم ، الذى يؤكد عظمة وقوة هذا الملك واهتمامه بالعمران والبناء من جانب، ومن جانب آخر يؤكد مدى الرفاهية والثروة التى تمتع بها الشعب الانجليزى فى عصره . وأخيرا ، وبعد طول حيرة وعجز ، اتفق على أنه قد أقيم نتيجة اتفاق سلام ، ليكون بمثابة علامة توضح

---

(١) يلاحظ ان الراهب أسر هو أيضا رغم مكانته العلمية والدينية ، لم يشر ألبته الى أسباب بناء السور ، ولعل السبب فى ذلك أوامر البابوية الصارمة بعدم الاشارة من قريب أو بعيد لانجازات الملك أوفا ، مما يؤكد ما وصلنا اليه من اراء حول أسباب البناء الحقيقية كما سنذكرها فى حينه . انظر :

Asser, Life of King Alfred, ed. W. H., Stevenson, Oxford 1904, 14, p. 12; Roger de Hoveden, I, p. 19 & n. 64; cf. also: Sh. Camb. Med. Hist., 1, p. 387.

ملامح الحدود المتفق عليها فيما بين مرسـيا الانجـليزية وويلز البريطانية • واعتمد القائلون بهذا الرأى على الفتحات ولا أقول الأبواب — العديدة التى كانت تتخلله (٢) •

هذا ، ويبلغ طول السور مائتين وواحدا وأربعين كيلو مترا تقريبا ، ولقد تم اكتشاف حوالى مائة وتسعة وعشرين كيلو مترا منه أفادت فى تحديد ملامحه الحقيقية الى حد بعيد • وهو عبارة عن خندق عمقه ستة أقدام ، أى حوالى مترين يوجد فى الناحية الغربية المطلة على ويلز ، وأعلاه من جهة الشرق (أى من جهة مرسـيا) يوجد سور ارتفاعه خمسة وعشرون قدما أى حوالى ثمانية أمتار • ومن ثم فان الذى يريد عبور السور من ناحية الغرب الى الشرق ، عليه أن يتسلق ويتخطى حوالى ستة وخمسين قدما أى سبعة عشر مترا تقريبا وهى تمثل عمق الخندق وارتفاع السور من كـلا الجانبين (٣) ويمتد السور من شرقىمصبنهرواى **Wye** جنوبابالقرب

---

(٢) Wormald, p. The Anglo - Saxon, ed. J. Cambell, Phaidon Press, 1980, Chapter V, «The Age of OFFA & Alcuin», p. 119.

(٣) بدأت أولى مراحل دراسـة هذا السـور عام ١٩٢٠م بواسـطة سيرسيريل فوكس **Sir Cyril Fox** واستمرت الدراسات حتى عام ١٩٣١م ، بعدها ازداد أهتمام الاثريين بدراسة السور ، خاصة بعد أن نشر فوكس أبحاثه عام ١٩٥٥م ، ووفق على تقريره فى هذا الشأن • الا أن جامعة مانشيستر أجرت أبحاثا أخرى على =

من قنطرة سولرز Sollers ، متجها شمالا عبر مناطق جبلية بلغ ارتفاعها فى بعض المناطق ألفا وأربعمائة قدم عن سطح البحر تقريبا، حيث يتلاشى البناء ، وبعدها يظهر السور من جديد بالقــرب من فلنتشير Flintshire، متجها ناحية الشمال حيث ينتهى عند باسينجورك Basingwerk على نهر دى Dee ، مكونا ما يشبه السد المنيع فيما بين حدود ويلز ومرسيا (٤) •

هذا ، من السرد السابق لأهم سمات أوفـًا ذى الخندق ينتفى الأخذ بالرأى القائل ببنائه طبقا لاتفاق سلام بين مرسيا وويلز ، بدليل وجود عدد من الفتحات فى السور (٥) • اذ ان الوصف التفصيلى السابق للسور يؤكد أنه بنى من أجل منع أهالى ويلز من عبوره كلية ، أو على الأقل تعويقهم لحين قــدوم القوات الانجــليزية لمواجهتهم وطردهم ، وبالأحرى بنى السور من أجل آغراض عسكرية

=

السور عام ١٩٧٢م ، وبناء عليها رفضت تقرير فوكس ، وازداد الامر تعقيدا • ولقد تلخص تقرير الجامعة فى أن البناء قد تم من أجل توطيد العلاقات السلمية بين مرسيا وويلز • لكن الرأى مردود لاسباب سنذكرها فى حينها عند مناقشة كافة التبريرات التى قيلت فى صدد بناء السور • فى هذ الشأن ، وللمزيد عن أبعاد السور وطبوغرافية البلاد التى يمر بها انظر :

Wormald, op. cit., pp. 120 - 121; Stenton, op. cit., pp. 212 - 215; A. A. E., p. 353; O. C. L., p. 265. cf. also: Moinddin, M., «Did OFFA Accept the Faith of Islam», ed. Ta Ha Publishers, London (N. D.), p. 2.

وليست سلمية كما قيل . وللأسف لا توجد أدلة قاطعة تحدد تاريخ البناء من جهة ، ومن جهة أخرى لا توجد أى اشارة من قريب أو بعيد توضح الأسباب التى حدت بالملك أوفا الى بناء هذا السور ، مما أوقع المؤرخين فى حيرة ، وأدى الى تضارب وتعدد مقولاتهم حول أسباب البناء .

لاغرو أن أسباب البناء قد بلغت حدا من الخطورة لدرجة تصميم الملك أوفا على بنائه رغم تكاليفه المالية الباهظة ، فضلا عن العرق والدم والجهود التى بذلت من أجل اتمامه . وتؤكد الشواهد التاريخية على ضوء ما جاء بالمصادر أن البناء قد تم أثناء فترات السلم التى سادت علاقات أوفا بالبريطانيين فى ويلز ، أى على امتداد السنوات الممتدة من عام ٧٨٤م حتى عام ٧٩٦م . اذ لا يعقل أن يكون البناء قد تم ابان فترات العداء المستحكمة فيما بينهم ، ومن ثم ينتفى القول باقمة السور نتيجة اتفاق سلام تم بين الطرفين كما ذكرنا آنفا . وآية ذلك أن حوليات ويلز قد أشارت الى حدوث معركة فيما بين ويلز والملك أوفا بالقرب من بلدة هيرفورد Hereford عام ٧٦٠م ، دون أن تذكر تلك المصادر النتائج التى تمخضت عن المعركة من جهة ، كما أوردت نفس المصادر رواية أخرى تؤكد اكتساح الانجليز بلدة دايفيد Dyfed عام ٧٧٨م بقيادة

---

(٤) Stenton, op. cit., pp. 214 - 215, Wormald, op. cit., p. 119.

(٥) Wormald, op. cit., p. 119.

الملك أوفَّا من جهة أخرى ، وكذلك أشارت نفس المصادر الى مهاجمة أوفَّا « **منطقة ما فى ويلز عام ٧٨٤م » من جهة ثالثة** (٦) • أما فترة السنوات الساقطة فى منتصف المدة الممتدة بين عام ٧٦٠ وعام ٧٨٤م، فقد كان أوفَّا مشغولا فيها بحروبه التوسعية من أجل توحيد الأمة الانجليزية كما أسلفنا ، مما يصعب معه القول باتمام البناء أثناء تلك الفترة ، لانشغاله بتلك الحروب من ناحية واعتمادا على عدم ورود ما يؤكد نشوب معارك بين الطرفين فى الحوليات الويلزيه من ناحية أخرى ، فضلا عن أن نفس المصادر قد أشارت الى قيام أوفَّا بمهاجمة « دايفيد للمرة الثانية عام ٧٩٦م » قبل وفاته بقليل من ناحية ثالثة (٧) •

والخلاصة ، وبناء على ما جاء فى الحوليات الويلزية ، يمكن القول بلا تحفظ بأن الملك أوفَّا قد قام ببناء هذا السور فى فترة السلم التى سادت علاقاته مع ويلز ، أى على امتداد السنوات الممتدة من عام ٧٨٤م حتى عام ٧٩٦م •

هذا ، والى جانب الرأى القائل ببناء أوفا للسور نتيجة اتفاق سلام بينه وبين ويلز ، والذى أوضحنا خطأه من قبل ، توجد آراء أخرى لمجموعة من المؤرخين مخالفة تماما لهذا الرأى فهناك من يقول

(٦) **Stenton, op. cit., pp. 214 - 215.**

(٧) Stenton, op. cit., p. 215.

بأن السور قد بنى « من أجل حماية مرسيا من أخطار غزوات أهالى ويـــلز » (٨) ، ورأى آخر يرجح بأنه بنى « كاجراء وقائى ضـــد اغارات السوائم أو الرعاع ! » (٩) .

هذا ، وبمناقشة الرأى الأول ، يلاحظ أن أصحابه لم يعضدوه بالمصادر التى تؤكده ، ولكننا على ضوء ما سبق ذكره عن أهم سمات العلاقات بين أوفـّا وبقية الممالك الأنجلوساكسونية وأهالى ويلز ، اتضح لنا أن المصادر الويلزية لم تشر لأى هجوم قام به الويلزيون Welsh ضد مرسيا على امتداد عصر الملك أوفـّا (٧٥٧ — ٧٩٦م) ، بينما نفس المصادر — وكما بيـّنا من قبل — قد أشارت الى هجمات أوفـّا على ويلز أى أن الأخطار كانت تفد دوما من قبل مرسيا ضد ويلز وليس العكس ، من ثم فان هذا الرأى مرفوض وغير مقبول . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، يمكن تبرير البناء على أساس أنه تم لدرء احتمالات أخطار ينتظر قدومها عبر حدود ويلز بتحريض وتخطيط البابوية ، وأعنى بذلك القول باحتمال وجود اتفاق عقـــد بين البابوية وويلز كما أسلفنا حين أشرنا الى اتفاق البابوية مـــع اثلبرهت ملك ايست أنجليا ، مؤداه سماح ويلز لمندوبى البابوية

---

(٨) انظر :
Stenton, op. cit., p. 213f.; Cyrill, op. cit., p. 56; A.E., vol. 14, p. 353; O. C. E. L., p. 562; D. U., p. 1383.

(٩) Sh. Camb Med. Hist., 1, p. 180.

بدخول مرسيا خلسة عبر ويلز لاعادة التبشير بالمسيحية ، واثارة النفوس ضد أوفا للثورة عليه واسقاطه،فضلا عن مهاجمة ويلز لمرسيا فى نفس الوقت الذى يقوم فيه ايتلبرهت صاحب ايست أنجليا بالهجوم وحصر أوفا من الشرق والغرب للقضاء عليه ، بسبب أعماله التى هددت العقيدة المسيحية واضطرت البابوية لارسال بعثة عام ٧٨٦م « لاعادة تجديد العقيدة وتثبيتها فى النفوس » كما أشرنا من قبل (١٠)•ولكن يبدو أن الويلزيين قد رفضوا فكرة الهجوم لإقتناعهم باستحالة هزيمة أوفا لضعف قواهم قياسا الى «قوة الملك أوفا الرهيبة» (١١)، حسبما وصفها شارلمان •يؤيد ذلك الرأى عدم اشارة المصادر الويلزية لأى هجوم ضد مرسيا كما أسلفنا ، فى نفس الوقت الذى سمح فيه الويلزيون لأعوان البابوية بالعبور الى مرسيا للدعاية المغرضة ضد أوفا ، وتسفيه أفكاره ومعتقده الجديد ، فكان أن قام الملك أوفا بالشروع فى بناء هذا السور لتعويق عبور هؤلاء الأعوان ، يؤيد ذلك الرأى تلك الهجمات المتقطعة التى كان يقوم بها أوفا من حين لآخر ضد مدن ويلز ، اذا شعر بخطورة أعوان البابوية ، وذلك كجرس انذار منه لأهالى ويلز وتحذيرهم بعدم السماح لأعوان البابوية بالعبور الى مرسيا أو حمايتهم فى ويلز • وهكذا ، وعلى ضوء ماسبق

---

(١٠) أنظر ما سبق ٧٧ ــ ٨٥ من الفصل الاول •

(١١) Stenton, op. cit., p. 95.

نقول بلا تحفظ باستحالة قبول الرأى القائل باقامة السور « من أجل حماية مرسيا من أخطار غزوات أهالى ويلز ، » كما ذكرت بعض المراجع المعنية .

أما الرأى الآخر القائل ببناء السور « كاجراء وقائى ضـد اغارات السوائم أو الرعاع »!فهو رأى غريب ومرفوض جملة وتفصيلا. اذ ان أى انسان متوسط الذكاء ، لا يمكنه قبول مثل هذا التبرير الذى يرفضه العقل والواقع ، فهل يعقل أن ملكا مثل أوفا الذى شهدت كافة المصادر والمراجع بفطنته وكياسته ، يقوم ببناء مثل هذا السور الذى كلفه أموالا لا حصر لها ، من أجل حماية بلاده من اغارات الأنعام أو السفلة ! وماهى أخطار تلك السوائم أو الرعاع ؟ هل الاجهاز على الحشائش الخضراء أونهبها وسلبها من مرسيا ؟ !! أم أنها سوائم عسكرية مسلحة تقودها جماعات من الرعاع الرجالة والفرسان ؟ ! . ان أى باحث منصف ومدقق لا يمكن الا أن يرفض هذا الرأى شكلا وموضوعا ، ومن ثم فان عليه أن يأخذ بالتفسير المنطقى الذى وصلنا اليه ، ألا وهو القول ببناء أوفا لهذا السور لمنع مندوبى البابوية من دخول مرسيا للتحريض على الثورة ضده وذلك تطبيقا للاتفاق الذى تم بين البابوية وأهالى ويلز لمهاجمته والخلاص منه ومن أفكاره المعادية للكنيسة الرومانية الى الأبد كما أسلفنا .

وأخيرا ثمـة ملاحظـة هامـة ينبغى الاشـارة اليها ، اذ أن مـن الغـريب والملاحظ ان كافـة المصـادر والوثائق لم تشر من قريب أو بعيد الى كيفية أو أسباب موت الملك أوفـَّا المفاجىء وهو فى قمة مجده ونفوذه يوم الجمعة ٢٩ يوليو ٧٩٦م / ١٧ جماد أول ١٨٠هـ ، اذا اكتفت الحوليات الأنجلوساكسونية بالاشارة فى عبـارة مقتضـبة الى « موت أوفـَّـا فجأة فى عام ٧٩٦م » (١) •

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، يلاحظ أن الملك أوفـَّا دون غيره من الملوك الانجليز قد أهملت كافة المصادر والوثائق الاشارة الى مكان دفنه ، والذى كان من المفروض أن يكون — ان لم يكن قد اعتنق الاسلام بالفعل — داخل كاتدرائية أو كنيسة العاصمة الكبرى• ولكن الغريب وحسبما ذكرت المصادر المتأخره زمنيا أن الملك أوفـَّا

---

(١) اختلفت الحوليات فى تحديد تاريخ الوفاة : « حولية باركر » قالت فى عام ٧٩٦م ، « وحولية لود » قالت يوم ١٠ أغسطس ٧٩٦م ، أما حولية رقم «C» التى نشـرتها وايتلوك فى مجموعة الوثائق الانجليية ، ج١ ، حددته بيوم ٢٩ يوليو ٧٩٦م وهو التاريخ الذى اخذنا به عاليه • ويلاحظ أن المؤرخ ستنتون قد ذكر التاريخ خطأ وحدده ٢٦ يوليو ٧٩٦م دون ذكر المصدر الذى أخذ عنه • انظر المصادر والمراجع الاتية :

The Laud Chronicle, p. 57 & n, 6.; the Parker Chronicle, p. 56. The Anglo - Saxon Chronicle, cf. E.H.D., vol. I, pp. 181 & n. 11, 182; cf. also: Roger de Hoveden, 1, p. 30; Roger of Wendover, 1, pp. 166 - 167; Matthew of Westminster, 1, pp. 382 - 383; Simeon of Durham, cf. E. H. D., vol. I, p. 274; cf. also: Stenton, op. cit., p. 224.

عندما توفى ، تم نقله الى بلدة صغيرة حيث دفن فى مصلى صغير داخل مبنى متداع ، على حـافة نهر مشهور بتيـاراته وفيضاناته الجارفة ، كما لو كان الذين دفنوه قد خططوا واختاروا هذا المكان عن عمد ، على أمل أن تجرف الفيضانات المبنى بمن فيه ، فيزول كل أثر للملك أوفّا ، حتى يصبح نسيا منسيا ، وهذا ما تم بالفعـل ومن ثم يتأكد لنا صحة ما وصلنا اليه بصـدد ترجبح الملك أوفّا الاسـلام .

لقد أشارت المصادر (٢) الى أن الروايات المتواترة على ألسنة الأهالى ، نقلا عن أجدادهم وأسلافهم المعاصرين للملك أوفّا تفيد أنه قدمات «عام ٧٩٦م فى بلدة أوفلى Offley (٣) ، ثم نقل جسده الى بلدة بيدفورد Bedford الصغيرة (٤) ، حيث قبر فى داخل مصلى صغير كائن بمبنى مجهول يقع خارج البلدة على الحافة المباشرة لنهر الأوسك the Usk » (٥) . وهكذا أفادت وأكدت تلك الرواية الغامضة دفن

(٢) Roger of Wendover, 1, pp. 166 - 167; also: Matthew of Westminster, 1, pp. 382 - 383.

(٣) لم أجد لها تعريفا فى أى من المصادر أو المراجع المعنية . ولعلهـا كانت بلدة قديمة أقامها أوفا ، وعرفت بهذا الاسم نسبة اليه ، ثم اندثرت على مر السنين ، أو لعل البابوية ورجال الكنيسة قد طمسوا معالمها وغيروا اسمها بآخر ، حتى يزول كل أثر للملك أوفا قد يذكره الناس به .

(٤) بلدة صغيرة تقع فى مقاطعة بيدفورد Bedfordshire على بعـد خمسة وأربعين ميلا شمال غرب لندن . انظر : P. E. P., p. 85.

(٥) يقع فى مقاطعة بيدفورد ، ويعرف اليوم بأسم نهر أويس Ouse انظـر : P. E. P., op. cit., loc. cit.
وأيضا انظر حاشية رقم (٢) عاليه .

الملك أوفتا بهذه الطريقة المشبوهة ، فى مثل تلك البلده الصغيره ، داخل هذا المكان المجهول ، وليس داخل الكنيسه الكبرى بالعاصمة ، مما يرجح اعتناق هذا الملك العظيم للاسلام ، فكانت المحصلة محاربته واثارة النفوس ضده للخلاص منه فى الدنيا ، ثم دفنه بعد وفاته بهذه الطريقة المشينة ، انتقاما منه حتى يزول هو وعقيدته الجديدة. فتنساه الأجيال المتعاقبة على مر السنين خشية أن يكون مثالاً يحتذى. فيكون الدمار للكنيسة الانجليزيه هو المحصلة الوحيدة لذكرى هذا الرجـــل .

هذا ، وقد أشار نفس المصدر الى أن المقبرة قد أصابها التصدع وأتلفها التسوس حتى انهارت مع المبنى وغارت فى أعماق النهر ، بفعل الفيضانات المدمرة على مر السنين ، « فكان أن بذلت جهود مضنية من أجل اكتشاف مكان المقبرة ، واخراج جثة الملك أوفتا ، ولكن الأقدار أبت أن تكلل تلك الجهود بالنجاح » (١) .

---

(٦) Roger of Wendover, 1, p. 166f.; Matthew of **Westminster,** 1, p. 383.

جدير بالذكر على سبيل المثال لا الحصر أن الملك ايثلبرت Aethelbert ملك كنت عند وفاته عام ٦١٦م ، دفن مع زوجته برثا Bertha فى كنيسة القديس بطرس فى كانتربيورى تكريما لهما لنشرهما المسيحية فى مملكته ومساعدته القديس أوجسطين فى نشرها عند وصوله عام ٥٩٧م كما أسلفنا . وبالمثل دفن كيولريد Ceolred ملك مرسيا عام ٧١٩ فى كنيسة العاصمة ليتشفيلد Lichefield كذلك كان الحال بالنسبة للملك ولفهير ملك مرسيا (ت ٦٧٤م) . مما يؤكد ما وصلنا اليه عن تعمد البابوية دفن أوفا بهذه الطريقة المهينه بسبب اعتناقه الاسلام . عن تكريم هؤلاء الملوك ، فضلا
=

من الأهمية بمكان التوقف هاهنا لحظة لمناقشة عبارة روجرأوف وندوفور الأخيرة تلك ، لأهميتها فيما نحن بصدده من كشف حقيقة اعتناق الملك أوفّا للاسلام • فالمـلاحظ أن روجرأوف وندوفور (ت ٦ مايو ١٢٣٧م) كـان معاصرا للملك حنا (جـون John) ملك انجلترا (١١٩٩م — ١٢١٦م) ، وصاحب العهد الأعظـم (الماجناكارتا) Magna Carta المشهور ، وهو الذى أصدر أوامره بالبحث عن مقبرة الملك أوفّا ، وباءت جهوده بالفشل كما ذكرنا من قبل نقلا عن روجرأوف وندوفور • وهنا نتساءل لماذا أصدر الملك حنا قراره بالبحث عن مقبرة الملك أوفّا ؟ •

الراجح أن الملك حنا كان معجبا بشدة بشخصية الملك أوفّا ، ولعله قد احيط علما بالكتير من أسرار سيرته بعامة وموقفه من الاسلام بطريقة أو بأخرى من كبار رجال القصر وأفراد أسرته وغيرهم من رجال الكنيسة الانجليزية المنصفين بصفة خاصة • فكان أن أعجب به واتخذه مثالا يحتذى ، ومن ثم أصدر قراره السابق الذكر بالبحث عن مقبرته كما أفادنا شاهد العيان روجر ، لتكريمه ودفنه فى المكان اللائق به • ولا شك أن البابوية قد هالها قيام

=

عن غيرهم انظر :
Bede, op. cit. pp. 107, 108, 135, 182, 185, 334; Roger of Wendover, 1, p. 103; The Laud Chronicle, (E.), pp. 23, 35; The Parker Chronicle, (A.), pp. 22, 34.

جون بهذا العمل الذى اعتبرته معاديا للكنيسة الكاثوليكية ، وخشيت من أن ينقلب اعجاب جون بالملك أوفا الى اتخاذه نفس الطريق واعتناقه الاسلام مثله ، ويبدو أن البابوية قد طالبت جون بالكف عن البحث عن مقبرة أوفا ، ورفع يده عن رجال الكنيسة الانجليزية، وعدم تدخله فى شئونهم بالعزل والتعيين ، وهددته بالحرمان والعزل.فلم يعر حنا تهديدات البابوية اهتماما،وأقسم على طرد كافة رجال الدين الكاثوليك من انجلترا ، وجدع أنوفهم ومصادرة أملاكهم . بل وكما يبدو قد هدد البابوية باعتناق الاسلام مثلما فعل الملك أوفا. وهنا تميز البابا من الغيظ ، واصدر قرارا بالفعل بحرمان حنا عام ١٢٠٨م . فكانت ردود فعل حنا عنيفة . اذ أصدر قرارات تتلخص فى مصادرة أملاك الكنيسة والأديرة ، وحبس كبار رجال الدين ، بل ويبدو أنه قد ترسم خطى الملك أوفا فاعتنق الاسلام ثم طلب المعونة العسكرية من الموحدين بالأندلس لتعضيده ضد البابوية وأعوانها ، فطار لب البابا انوسنت الثالث (١١٩٨ — ١٢١٦م) وخشى مغبة ذلك العمل ، فأصدر قرارا جديدا بالحرمان ضد حنا عام ١٢١٣م كما قرر عزله ، وطالب الشعب الانجليزى بمحاربته وانتزاع كافة أملاكه ومصادرتها غنيمة له (٧) .

---

(٧) اشار ديورانت بتفصيل واف الى الصراع فيما بين حنا والبابا انوسنت الثالث ، وأفاض فى تفسير أسبابه واتهام البابوية له بالكفر . انظر : ديورانت (ول) : قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران حافظ ، طبعة جامعة الدول العربية ، ج٤ ، المجلد الرابع ، ص ١٩٣ — ٢٠٢ .

يؤيد ذلك الرأى رواية خطيرة الفحوى أوردها المؤرخ المعاصر روجرأوف وندوفور صديق الملك حنا المقرب اليه وكاتم أسراره فى حولياته (٨) ، فلقد أشار الى أن الملك حنا قد أرسل سفارة سرية الى أمير المؤمنين الخليفة الموحدى محمد الناصر لدين الله (٢٢ ربيع الأول ٥٩٥ — ٤ شعبان ٦١٠هـ / ٢٢ يناير ١١٩٩ — ١٩ ديسمبر ١٢١٣م) فى عـام ١٢١٢م / ٦٠٨ — ٦٠٩هـ ، برئاسـة كل من «الفارسين توماس هاردنجتون Thomas Hardington ورالففيتزنيقولاس Raleph Fitz Nicholas ، فضـلا عن أحـد كبار رجـال الدين المقربين اليه ، المدعو روبرت أوف لندن «Robert of London» ، حيث عرضوا على الخليفة مطالب الملك حنا من خلال الرسالة التى سلموها اياه من لدنه وتتلخص فى اعلان رغبة حنا الملحة فى « اعتناقه

---

(٨) بعد وفاة الملك حنا عام ١٢١٦م ، خلع روجر من منصبه ، بسبب اسرافه الشديد وتبديده اموال الدير كما يقولون ، دون توضيح المقصود بالاسراف أو التبديد ! والسبب كما يبدو الى درجة اليقين ، صداقته الوطيدة بالملك حنا ، ومجاراته وتأييده اياه فى كافة قراراته التى اعتبرتها البابوية والكنيسة خارجة عن الايمان وضد صالح الكنيسة • يؤيد ذلك الرأى أن قرار الاقصاء تم عقب موت الملك حنا مباشرة وتولية هنرى الثالث Henry III (١٢١٦ — ١٢٧٢م) ومن ثم فان عزله نتيجة هذه الصداقة أمر مفروغ منه كما أنه يؤكد ما وصلنا اليه بصدد ترجيح اعتناق أوفا الاسلام ومحاولة حنا نهج نفس المنهج، فكان أن أتهم بالكفر والالحاد والخروج عن الايمان الصحيح • فى هذا الصدد وللمزيد عن روجر انظر : حاشية رقم ٢٥ ص ٤٥ ما سبق •

الاسلام هو وشعبه ، والحاق انجلترا بدولة الموحدين » (٩) •ولاشك أن تلك الرواية الخطيرة الفحوى لاتؤكد مدى صحة ماوصلنا اليه بخصوص ترجيح اعتناق الملك أوفًا الاسلام بدليل اخفاء البابوية مكان دفنه وطمس معالم تاريخه ، ومحاولات حنا كشف مكان الدفن لاحياء ذكراه فحسب ، بل تؤكد أيضا اعجاب الملك حنا الشديد بالملك أوفًا ، وترسمه خطاه ومحاولته هو أيضا اعتناق الاسلام،وتلكقضية أخرى لا زالت فى حاجة الى المزيد من الأبحاث والدراسات المتأنية والمستفيضة •

---

(٩) عن تلك السفارة ونتائجها انظر :
Roger of Wendover, II, pp. 283 - 286. cf. also :
فيليبحبيب خورى : تاريخ العرب (الدولة العباسية ـ العرب فى أوربا : أسبانيا وصقلية ، آخر الدول الاسلامية فى العصورالوسطى)، ترجمة وتعليق محمد مبروك نافع ، المجلد الثانى ، ط٢ ، القاهرة ١٩٤٩م ، حاشية رقم ٥٦ ص ٧١٢ • وجدير بالذكر أن المصادر قد ذكرت رفض الخليفة الموحدى عرض حنا باعتناق الاسلام ، الا أن الشواهد تؤكد غير ذلك خاصة وان الخليفة له دوره الكبير فى الجهاد ضد صليبيى أسبانيا ، ومن ثم ينتفى القول بالرفض • ولكن السبب كما يبدو كان تأجيل العرض لحين انتهاء الخليفة من هزيمة اعدائه الاسبان فى المعركة المرتقبة ، الا أن هزيمة الخليفة الغير متوقعة فى موقعة العقاب Las Navas de Tolosa (١٥ صفر ٦٠٩هـ / ١٧ يوليو ١٢١٢م) ، ثم موته كمدا وحزنا فيما بعد ٦١٠هـ / ١٢١٣م ، قد حالا دون تنفيذ بنود الاتفاق • ذلك الاتفاق =

مهما يكن من أمر ، وعلى ضوء ما سبق ، لعلنا نكون قد أكدنا ما وصلنا اليه بشأن ترجيح اعتناق الملك أوفّا الاسلام،ومن‌ثم،قيامه بالمحاولة الأولى من نوعها فى تاريخ أوربا الوسيط باعلان الاسلام دينا رسميا له ولشعبه . وقد يقول البعض ان الدينار ليس حجة تؤكد اعلانه الاسلام دينا جديد له ، ولأسرته وكبار رجاله ، ان لم يكن

=

الذى لو حدث لتغيرت خريطة انجلترا . يؤيد ذلك الرأى ما ذكرته المصادر عن غضب البابا ، واصداره قرارى حرمان وعزل ضد الملك حنا عام ١٢١٣ ، ومطالبة النبلاء والشعب بمحاربته وعزله واغتصاب أملاكه كما ذكرنا عاليه . ويبدو أن هزيمة الخليفة فى العقاب قد أصابت حنا بالاحباط ، فهادن البابوية خاصة بعد مهاجمة فيليب أغسطس ملك فرنسا له ، وهزيمته عام ١٢١٥م ثم عودته لمواجهة خطر النبلاء الذين ثاروا ضده بتحريض البابوية ، وأجبروه على اصدار الماجناكارتا عام ١٢١٥ ، وظل حنا يترقب الفرصة للثأر من أعدائه والغاء الماجناكارتا لكن موته المفاجىء عام ١٢١٦م حال دون تحقيق ما انتواه ، وبموته ماتت المحاولة الثانية من نوعها فى انجلترا ـ بعد محاولة اوفا ـ لاعتناق ملك انجليزى للاسلام . فى‌هذا الصدد وللمزيد عن علاقات حنا بكل من البابوية والنبلاء الانجليز ، وظروف اصداره العهد الاعظم ونتائجه انظر : Roger of Wendover, II, pp. 179 - 182, 187, 193, 194,201 - 208 217, 239 - 251, 254 - 70, 273 - 87, 288 ff.; E. H. D., vol. 3, p. 327ff. cf. also:

ديورانت : قصة الحضارة المجلد الرابع ، ص ١٩٣ ـ ٢٠٢ ، وللمزيد عن محاولة حنا اعتناق الاسلام ، انظر : صفاء خلوصى : محاولة الملك جون صاحب (الماغناكارتا) اعلان الاسلام دينار ســـميا ببريطانيا فى القرن الثالث عشر ، حديث أذيع فى ١٨/١/١٩٧٩م . انظر : نشرة البرامج العربية لهيئة الاذاعة البريطانية العدد رقم ٣٦٧ ، السنة العشرون ، القاهرة ، مايو ١٩٧٩م ، صفحة أصحاب الرأى رقم ٣٦ .

له ولأسرته ولشعبه ككل ، على أساس أن هناك سوابق عديدة قلد فيها الأمراء الصليبيون ، وغيرهم من ملوك أوربا الغربية الدنانير الاسلامية • الا أن هذا الرأى سبق وأكدنا عدم صحته ، عند مناقشة الرأى القائل بأن أوفَّا قد سك عملته تلك لتقديم المنحة السنوية المقررة عليه تجاه الكنيسة الرومانية (١٠) • وسواء أكان اعتناق أوفَّا الاسلام محصلة طبيعية لرغبة ذاتية جامحة ، أو حالة نفسية هيمنت عليه ، ودفعته لاعتناقه بجهود التجار الدعاة المسلمين الذين قدموا للتجارة فى بريطانيا من جهة ، أو كان نتيجة جهود أعضاء السفارات والبعثات الرسمية السياسية والتجارية ، المتبادلة فيما بينه وبين الخلافة العباسية من جهة أخرى ، فمما لاشك فيه أن الدينار الاسلامى الذى ضربه أوفَّا ، يعتبر فى حد ذاته دليلا يؤكد ما وصلنا اليه فى هذا الصدد • اذ انه يعتبر وثيقه هامة لها ثقلها فى تأكيد تبريرنا لأسباب اصداره ، على ضوء ما سبق سرده من تفصيلات أحداث عصر الملك أوفَّا ، وجهوده وانجازاته المتعددة فى شتى الميادين • ولعلنا نجد فى اختلاف المؤرخين فى تبرير ضرب هذا الدينار ما يؤيد صحة ما وصلنا اليه فى هذا الشأن أيضا ، ويضيف اليه جديدا • اذ أن حيرة المؤرخين ، وتناقض آرائهم يؤكد أنهم رغم عدم قولهم صراحةباعتناق أوفَّا الاسلام، يؤمنون فى قراره أنفسهم بامكانية صحة هذا الاحتمال لدرجة كبيرة •

---

(١٠) انظر ما سبق ص ١١٤ — ١٢٠ والحواشى من الفصل الثانى •

بسم الله الرحمن الرحيم

« بل نقذف بالحـــق على الباطـــل ، فيدمغه فاذا هو زاهق ، ولكم الويل مما تصفون »

(الأنبياء : ١٨)

الخاتمة

— الجديد فى الموضوع ، وأهم الأفكار والنتائج التى أمــكن التوصل اليها .

— أهم الآراء والمشاكل التى تم بحثها .

الحمد لله فاتحة كل خير ، وتمام كل فضل ، وبعد •

فقد أوضحنا فى الفصول السابقة أن تاريخ مملكة مرسيا السياسى والاقتصادى ، واحرازها قصب السبق فى مضمار زعامة الأنجلوساكسون ونهضتهم من جهة ، وبناء صرح وحدتهم كأمة واحدة (الأمة الانجليزية) لأول مرة فى التاريخ من جهة أخرى ، قد ارتبطا بقوة بتاريخ عصر أوفًا « ملك مرسيا العظيم » ، و « ملك انجلترا » ، و « ملك كل بلاد الانجليز » حسبما عرفته المصادر والوثائق •

فلقد غدت مملكة مرسيا منذ بداية عام ٧٦٤م ، وحتى وفاة الملك أوفًا عام ٧٩٦م ، قوة عسكرية واقتصادية جبارة ، عمل لها كل من شارلمان والبابوية ألف حساب • ولقد بيَّنا كيف سخر أوفًا امكانات مرسيا المادية والبشرية من أجل توحيد الأنجلوساكسون فى أمة واحدة ، وهى التى اصطلح مؤرخو العصور الوسطى على تعريفها بالأمة الانجليزية •لذا ، كان من المحتم حصول احتكاكات وحروب طاحنة بين مرسيا من جانب ، وبين الممالك الأنجلوساكسونية الأخرى من جانب آخر ، وذلك كمحصلة طبيعية لمسار الأحداث • اذ ان كل ملك من الملوك الأنجلوساكسون كانت له أهدافه وتطلعاته لتبوأ مكان الصدارة وزعامة الأنجلوساكسون ، ومن ثم كان لابد أن تلتحم هذه الأهداف مع مثيلاتها لدى أوفًا أحيانا ، وأحيانا أخرى تتنافر وتتباعدت • لذا ، فان فترات العدآء والسلام ألتى سادت علاقات أوفًا بغيره من ملوك الأنجلوساكسون كانت نتيجة حتمية للظروف الموضوعية المحيطة بمسرح الأحداث آنذاك •

وغنى عن القول أنه قد واجهتنا أثناء اعداد هذا البحث العديد من المشاكل والقضايا الهامة التى مست الموضوع مسا مباشرا ، ولقد توصلنا ولله الحمد والمنّة الى العديد من الاستجابات الهامة ، استطعنا بها أن نسد الكثير من فجوات البحث بعد تدعيمها بالحجج والأسانيد من جهة ، ومن جهة أخرى ، حصلنا على اجابات واضحة محددة لكثير من التساؤلات التى طرحت علينا على امتداد البحث •

ومن أهم القضايا التى تصدينا لها تطور نهضة مملكة مرسـيا سياسيا واقتصاديا بفضل جهود الملك أوفـّا ، ومدى ارتباط تقدمها هذا بشخصيته القوية ، ومدى قدرته على تسخير كافة ملكاته وذكائه الفطرى للوصول بمرسيا الى مكان الصدارة والسيادة على كافة ممالك الأنجلوساكسون ، ولقد نجح أوفـّا فى هذا الصدد أيمـّا نجاح •

وبالمثل توصلنا الى فكرة هزيمة الملك أوفـّا فى موقعة أوتفورد وانتصار كنت عليه عام ٧٧٤م ، رغم قول بعض المؤرخين المعنيين بانتصاره الحاسم فيها ، وأيدنا رأينا هذا بما جاء فى بعض الوثائق والمصادر المعاصرة • كذلك أثبتنا نجاح دبلوماسية أوفـّا فى ضم بعض الممالك الأنجلوساكسونية داخل نطاق اتحاده الكونفيدرالى عن طريق تزويج بناته من ملوكها ، ضمانا لعدم انسلافهم عن الاتحاد الذى تزعمه بنفسه •

ومن أهم القضايا التى واجهتنا ، وتناولناها بالمناقشة الموضوعية والدراسة التحليلية أسباب مصرع الملك ايثلبرهت ملك ايست أنجليا عام ٧٩٤م • ولقد أكدنا على ضوء الشواهد التاريخية ، فضلا عن

المعلومات والروايات التى اعتصرناها من المصادر ، أن مصرعه كان مردّه تآمره مع البابويـــة وويلز لحصر أوفّا بين فكى كماشة ، والانقضاض عليه من الشرق والغرب ، للتخلص منه بعد هزيمته • هذا ، ولقد رجحنا سبب هذا التآمر بفكرة اعتناق أوفّا الاسلام ، وهى الفكرة التى دعمناها بماجاء فى المصـــادر وتردد فى أوساط الكنيسة عن « قيام أوفّا بأعمال أدت الى تقويض الايمان »•فكان أن اضطرت البابوية الى ارسال بعثة ٧٨٦م المشهورة برئاسة اثنين من كبار رجالها الى انجلترا « من أجل اعادة تجديد وتثبيت الايمان فى النفوس » ، حسبما أجمعت المصادر على ذلك • هذا من جهة، ومن جهة أخرى ، أكدنا أن البابوية قد أسبغت صفات القدسية على ايثلبرهت واعتبرته « قديسا شهيدا » رغم عدم امتلاكه حيثيات القدسية قياسا لرجلٍ مثلٍ شارلمان « حامى المسيحية فى أوربا الغربية » ، والذى لم تعتبره الكنيسة قديسا على سبيلِ المثالِ :

كذلك ناقشنا أسباب مصرع ايثلريد زوج ابنة أوفّا وملك نورثمبريا عام ٧٩٦م ، بتخطيط من شارلمان والبابوية ، لرغبتهما فى السيطرة على المملكة ، والانطلاق عبرها للتخلص من أوفّا وعقيدته الجديدة ، واعادة تجديد الايمان وتثبيته فى نفوس أهالى مرسيا، حسبما أكدناه على ضوء المصادر • وبالمثل تعرضنا بالدراسة التحليلية لكافة الآراء التى قيلت فى صدد بناء أوفّا سوره العظيم على حدوده مع ويلز ، وتناولناها بالمناقشة العلمية الموضوعية • ولقد أثبتنا أن هدفه الحقيقى كان تعويق ومنع أعوان البابوية من عبور حدوده مع

ويلز لاثارة النفوس ، وحثها على الثورة ضده تمهيدا لعزله والتخلص منه لاعتناقه الاســـلام من جهة ، كما أثبتنا أن بناء السور قد تم على امتداد سنوات فترة السلم التى سادت علاقات أوفا مع ويلز (٧٨٤ — ٧٩٦م) من جهة أخرى •

كذلك أبرزنا أهم سمات علاقات أوفا بكل من شارلمان والبابوية وتناولنا بالدراسة التحليلية أسباب كراهيتهما له ، وتخطيطهما معـــا للتخلص منه ، فى نفس الوقت الذى كانا يتقربان فيه اليه ويظهران له الود والاحترام ! وبالمثل تناولنا بالدراسة علاقات أوفا التجارية مع الفرنج ، وأشرنا الى الاتفاقية التجارية التى عقدها مع شارلمان، والتى تعد الأولى من نوعها فى تاريخ انجلترا من جانب ، والتى أكدنا على ضوئها ، فضلا عما أمدتنا به المصادر والمراجع من معلومات قوة علاقات أوفا التجـــارية مع العباسيين وعقده معهم معاهدة مشابهة من جانب آخر •

كما تناولنا بالتفصيل والدراسة التحليلية العلمية كافة الآراء التى قيلت حول الأسباب التى حدت بالملك أوفا الى سك ديناره الذهبى المشهور ذى عبارات التوحيد الاسلامية ، والذى كان سكه سببا فى ايقاع المؤرخين المعنيين فى حيرة حتى يومنا هذا ، بحثا عن تبرير مقنع لضربه • وأثبتنا على ضوئه هو وغيره من الأسانيد ، صحة الفكرة التى توصلنا اليها ، والخاصة بترجيح اعتناق أوفا الاسلام • وجدير بالذكر أن هذه الفكرة كنا دوما نتناولها بالدراسة ونؤكدها بالأســـانيد والحجج التى أكدتهـــا الشـــواهد والروايات

التاريخية على امتداد البحث كلما دعت الضرورة الى ذلك ، لما لهـا من أهمية ودلالات خطيرة ٠

وكذلك أشرنا الى جهود أوفـّا التى بذلها من أجل رفعة شأن انجلترا ، والنهوض بها حضاريا ، بالاشارة الى أهم اصلاحاته فى شتى مظاهر الحياة المالية والاقتصادية والتشريعية ، فضـلا عن اهتماماته باعداد أقوى قوة عسكرية ضاربة عرفت فى تلك الاونة ، والتى كان شارلمان أعظم ملوك العصر يعمـل لها ألف حساب ٠ وأوضحنا كيف سخّر أوفـّا هذه القوة من أجل حماية وحدة الأمة الانجليزية التى قضى حياته كلها مجاهدا من أجل بناء صرحها تحت زعامته من جانب ، وكفالة الأمن والآمان لشعبه ، وحماية مكاسبه السياسية والاقتصادية التى حصل عليها على امتداد عصره (٧٥٧ — ٧٩٦م) من جانب آخر ٠

كذلك تناولنا بالاشارة والدراسة التحـليلية التغييرات التى إستحدثها أوفا فى العملات الأنجلوسـاكسونية من حيث المخبر والمظهر ، والتى كان لها أثرها الكبير فى تأكيد ما وصلنا اليه بصدد ترجيح اعتناقه الاسلام ، وأضافت اليه جديدا ٠ تلك التغييرات التى تلخصت — الى جانب اصداره الدينار الذهبى السابق الاشارة اليه — فى تلاشى علامة الصليب من عمـلاته تدريجيا الى درجـة الاختفاء تماما فى السنوات الأخيرة من حكمه الذى امتد قرابة تسعة وثلاثين سنة ٠

هذا ، والمسكوكات كما هو معروف ، لها مكانتها كوثيقة يعتد بها فى كشف وسبر أغوار حقيقة تاريخ الأمم السياسى والاجتماعى والاقتصادى وعقيدتها الدينية • وهناك من المؤرخين من يشبه العملة « بالعلم الخاص بالدولة » ، أو بجواز السفر الذى تحمله فى جيبك، تحسبا لأية ظروف طارئة • فاذا ما توفى أنسان اثناء سيره بالطريق فلاشك أن جواز سفره بما فيه من بيانات وصورة ، سوف يحدد اسم حامله وعنوانه فضلا عن هويته الدينية (١١) • هذا ولقد اختتم صاحب هذا الرأى عبارته بالقول باعتناق الملك أوفَّا الاسـلام ، مشيرا الى أنه قد قام بعمل استفتاء بين عدد من كبار الشخصيات الانجليزية ، التى أجمعت على اعتناق أوفَّا الاسلام ، وعزت ضياع وثائق عصره الى الكنيسة التى تخلصت منها خشية كشف تلك الحقيقة الواضحة ، فقال : « ••• وعندما سـألت الكثير من الشخصيات الانجليزية ، الذكور والاناث على حد سواء ، أجمعوا على اعتناق أوفَّا للاسلام ، وعزوا ندرة الوثائق الى تدمير الكنيسة الانجليزية لها ، بسبب اعتناقه الاسلام ، وأدا لها وطمسا لمعالم تاريخه منذ البداية » (١٢) •

وبالمثل توصلنا الى اثبات قوة التواجد التجارى العربى فى انجلترا قبل وعلى امتداد عصر الملك أوفَّا ، وخرجنا بفكرة أن الدعوة

(١١) Moinddin, op. cit., p. 1 f.

(١٢) Moinddin, op. cit., pp. 1 - 2.

للاسلام قد وصلت اليه عن طريق أى من التجار المسلمين أو مبعوثى الخلافة العباسية، ولقد تم ذلك بعد مناقشات حول معانى عبارات التوحيد الاسلامية المنقوشة على الدينار العباسى ، والذى ضرب أوفا ديناره على طرازه من جانب ، وبعد حوار طويل حول طبيعة المسيح عليه السلام ومكانته وأمه العذراء البتول الصديقة مريم رضى الله عنها فى الاسلام من جانب آخر ، وبعد ذلك دعى أوفا للاسلام ، فآمن بعد اقناع واقتناع . وأكدنا ذلك الرأى من منطلق عالمية الاسلام ، وأن الدعـوة الى الحق فرض على كل مسـلم القيام به ما استطاع الى ذلك سـبيلا . وضربنا أمثلة لذلك بما جاء فى الكتاب والسنة الشريفة من آيات وأحاديث تؤكد صحة الرأى . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، ضربنا أمثلة بدور التجار المسلمين الدعاة فى نفس الوقت فى نشر الاسلام فى جزر وبلاد المحيط الهندى وجنوب شرق آسيا ، ووسط وشرق وغرب أفريقيا .

وأخيرا ، وليس بآخر ، تناولنا بالدراسة التحليلية العلميـة والمناقشة الموضوعية أسباب اهمال المصادر والمراجع الاشـارة من قريب أو بعيد الى أسباب موت الملك أوفا المفاجىء عام ٧٩٦م/ ١٨٠هـ ، ودفنه فى بلدة مجهولة الهوية بعكس ما هو متبع من عادة دفن أقرانه الملوك فى كنيسة العاصمة الكبرى ! .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أشرنا الى محـاولات الملك حنا صاحب الماجناكارتا المستميته للبحث عن قبرة الملك أوفا لاحياء

ذكراه وفشله فى هذا الصدد • وخلصنا من هذا كله برأى هام أكدنا صحته على ضوء المصادر المعاصرة ، مؤداه اعجاب الملك حنا الشديد بأوفا ، وترسمه خطاه بالقيام بالمحاولة الثانية من نوعها فى تاريخ أوربا — بعد محاولة أوفا بالطبع — لاعتناق ملك انجليزى للاسلام وارساله سفارته المشهورة للملك الناصر محمد الموحدى ، معلنا رغبته فى اعتناق الاسلام ، ودخوله وشعبه وبلاد الانجليز فى زمرة الموحدين وحمايتهم • مما أغضب البابوية بشدة ، فكان ان أصدرت قراراتها بالحرمان ضد حنا ، واعتبرته خارجا عن الايمان وكافرا ، وطالبت الشعب الانجليزى والنبــلاء بمحاربته والتخلص منه ، ومصادرة أملاكه •

تلك هى أهم الآراء التى ناقشناها ، وأهم النتائج والأفكار والاستنتاجات التى توصلنا اليها وهكذا ، وعلى ضوء ما سبق ، تأكد لنا صحة ما وصلنا اليه بصدد ترجيح اعتناق الملك أوفا الاسلام واتخاذه دينا له على الأقل ، ان لم يكن له ولأسرته ولشعبه ككل ، من جهة ، ومن جهة أخرى ، تأكد لنا بما لا يدع مجالا لبادرة شك أن أوفا قد بلغ بشجاعته وثاقب نظره ، وكياسته حدا من المكانة والعظمة الى درجة جبت شارلمان أعظم ملوك ذلك العصر ، وحقق بسياسته ودبلوماسيته وحدة الامة الانجليزية لاول مرة فى تاريخها•

هذا ولقد لخص المؤرخ الانجليزى المشهور سيرفرانك ستنتون

قدرات أوفا ، وأبرز مكانته فى التاريخ فى عبارة جامعة مانعة ، اذ قال : « •••• ان أى ملك أنجلوساكسونى آخـر لم يكن فى مقدوره أن ينظر الى العالم على مدى اتساعه ، بمثل نظرة الملك أوفا البعيدة المدى تلك ، أو بمثل هذا الوعى والحس السياسى المرهف الذى تفرد به دون غيره » (١٣) من أقرانه الملوك • فاليه يعـزى فضل وضع مقومات نظم وحضارة انجلترا ونهضتها التجارية فى العصور الوسطى ، تلك النظم التى تفاعلت مع مثيلاتها الخاصـة بالغزاة الدانيين الشماليين ، والنورمانديين فيما بعد عصره ، ومنذ ذلك الحين فصاعدا بدأت انطـلاقة انجلترا من عزلتها القديمة ، وخرجت سفنها التجارية تشق عباب المحيط شرقا وغربا ، حاملة معها تلك المقومات الحضارية فى صورة دساتير ونظم وعلوم وثقافة الى القارة الأوربية على اتساعها (١٤)•وباختصار أصبحت انجلترا بفضل جهود أوفا مدرسة أوربا فى بداية العصور الوسطى، تلقنها شتى المعارف والعلوم ، بعد أن كانت تلميذا متأخرا دراسيا ، يحاول بالكاد أن يتعلم ألف باء الحضارة الأوربية من قبل عصر هذا الملك العظيم •

---

(١٣) Stenton, op. cit., p. 224.

(١٤) أشارت المراجع الى أن الانجلوساكسون رغم دمويتهم ، فاليهم تعزى نهضة أوربا فى شتى نواحى العلوم والاداب • فى هذا الصدد، وللمزيد عن حضارة الانجلوساكسون وتأثيرهم فى الحضارة الاوربية،

=

وأخيرا ، أنهى بحثى هذا راجيا أن أكون قد وفقت فى كشف حقيقة تاريخ عصر أوفّا ملك انجلترا العظيم وصولا الى الحقيقة التاريخية العلمية الموضوعية المجردة •

« ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به ، واعف عنا ، واغفر لنا ، وارحمنا ، أنت مولانا ، فانصرنا على القوم الـكافرين » •

(البقرة : آية ٢٨٦)

=

واحرازهم قصب السبق على أوربا فى هذا المضمار • انظر
Chancellor, V. E., Medieval & Tudor Britain, London, 1976, pp. 28 - 42.

نظير حسن سعداوى : السابق ، ص د ، ٢٩ وما بعدها •
راوس : السابق ، ص ١ وما بعدها •

قائمة المصادر والمراجع

- بيان بالمختصرات الواردة فى الحواشى .
- مجموعات تتضمن المصادر الأصلية لتاريخ انجلترا .
- المصادر الأصلية الأوربية .
- المصادر العربية .
- المراجع الثانوية الأوربية .
- المراجع الثانوية العربية والمعربة .
- دوائر المعارف والمعاجم .

بيـان بالمختصرات الواردة بالحواشي

A. A. E. = Academic American Encyclopedia.

B. N. J. = British Numismatic Journal.

C. E. = The Catholic Encyclopedia.

C. E. D. = Councils & Ecclesiastical Documents.

Cart. Sax. = Cartularium Saxonicum.

Ch. E. = Chamber's Encylopedia.

D. S = The Penguin Dictionary of Saints.

D. U. = Dictionnaire Universale d'Histore et de Géographique.

E. B. = Encylopedia Britainnica.

E. H. D. = English Historical Documents.

E. H. R. = English Historical Review.

Laud Chronicle (The) = The Anglo - Saxon Chronicle «Ms. E», ed. G. N. Garmonsway.

N. A. E. = New Age Encyclopedia.

N. C. = Numismatic Chronicle.

N. E. B. = The New Encyclopedia Britainnica.

O.C. E.L = Oxford Companion to English Literature.

O. I. D. = Oxford Illustration Dictionary.

Parker Chronicle (The) = The Anglo - Saxon Chronicle «Ms. A», ed. G. N. Garmonsway.

P. E. P. = The Penguin Encyclopedia of Places.

R. S. = «Rolls Series», Chronicles of Memorials Documents of Great Britain and Lreland.

Sh. Camb. Med. Hist. = The shorter Cambridge Medieval History

---

(أولا)

مجموعات تتضمن المصادر الأصلية لتاريخ انجــلترا

Anglo - Saxon Chronicle, (The),

— ed. G. N. Garmonsway, London, 1972.

— ed. D. Whitelock, cf. E. H. D. Vol. I, London, 1979. pp. 145 - 216.

— The Cottonian Collections of Manuscripts, British Museum (Mss. B, C, D, F, H & I).

Cartularum Saxonicum, ed. G. W. de Birch, 3 vols. & index, London, 1885 — 1893.

Codex Diplamaticus, Aevi Saxonici, ed. J. M. Kemble, 6 vols., London, 1839 — 1848.

Councils & Ecclesiastical Documents, relating to great Britain & Ireland, ed. Hadden W. & Stubbs W., Oxford, 1871.

Englih Historical Documents, Under the editorship of David C. Douglas, 12 vols., 1955 ff.

(ثانيا)
المصـــادر الأصـــلية الأوربيـــة

Anglo - Saxon Chronicle, (The) trans. and ed. by G. N. Garmonsuay, London, 1972.

كذلك اعتمدنا على ترجمة دورثى وايتلوك تحت عنوان :

Anglo - Saxon Chronicle (The) (60 B. C. A. D. 1042), cf. E. H. D., vol. I, London, 1979, p.. 145 — 261.

Alfred (The Great), «The Laws of Alfred», cf. E. H. D., vol. I, London, 1979, pp. 407 - 16.

Asser's «Life of King Alfred», ed. W. H. Stevensan, Oxford, 1904. cf. also : E. H. D., vol. I, ed. D. Whitelock, London, 1979, pp. 289 — 303.

Bede,

Historia Ecclesiastica (Venerablis Baedae Opera Historica), ed. C. Plummer, 2 vols., Oxford, 1896.

ولقد اعتمدنا على ترجمة انجليزية تحت عنوان :

A History of the English Church and People, trans. with an introduction by Leo Shereby Price, Revised by R. E. Lathen, London, 1974.

واعتمدنا أيضاً على ترجمة دورثى وايتلوك تحت عنوان :

«Ecclesiastical History of the English Nation», cf. E. H. D., vol. I, London, 1979, pp. 639 - 747.

Cartularium Saxonicum, ed. G. W. de Birch, 3 vols., London, 1885 — 93.

Councils and Ecclesiastical Documents, relating to Great Britain and Ireland, ed. Hadden W. & Stubbs W., vol. III, Oxford, 1871.

Einhard & Notker the Stammerer,
«Two Lives of Charlemagne», trans. with an introduction by Lewis Thrope, London, 1974.

English Historical Documents,

— Vol. I (C. 500 - 1042), ed. Dorothy Whitelock, 2nd ed., London, 1979.

— Vol. III (1189 - 1327), ed. Harry Rothwell, 1 st. ed., London, 1975.

Geoffroy of Monmouth,

«The History of the Kings of Britain», trans. with an introduction by Lewis Thrope, London, 1978.

Gesta Sanctorum Patrum Fontenllensis, Societe de L'Historie de Normandie, Rouen & Paris, 1936.

اعتمدنا على ترجمة دورثى وايتلوك تحت عنوان :

From the «Acts of the Abbots of Fontenelle» (St. Wandrille), cf. E. H. D., vol. I. p. 341.

Letter of Alcuin to Colcu (early in 790), cf. E. H. D., vol. I, 192, pp. 840 — 42.

Letter of Alcim to Offa King of Mercia (787 - 796), cf. E. H. D., vol. I, 195, pp. 846 - 47.

Letter of Alcuin ot the Mercian Ealdorman Osbert (797), cf. E. H. D., vol. I, 202, pp. 854 - 56.

Letter of Charles the Great to Offa, King of Meria (796), cf. E. H. D., vol. I, 197, pp. 848 — 49.

Letter of Charles the Great to Aethelheard archipshop of Canterbury and Ceolwulf. bishop of Lindsey, (793 - 796), cf. E. H. D., vol. I, 196, p. 847.

Matthew of Westminster,

The Flowers of History, trans. from the original by C. A. Yonge, 2 vols., London, 1938.

Roger de Hoveden,

The Annals, Camprising the history of England & Other countries of Europe from A. D. 732 to A. D. 1201, trans. from the Latin with notes & illustrations by Henry Riley, 2 vols., London, 1853.

Roger of Wendover,

Flowers of History, trans. from the Latin by Giles J. A., 2 vols, London, 1949.

Symeonis Monachi Historia Regum, ed. T. Arnold « Symenis Monachi Opera Omnia », cf. R. S., Vol. II, London, 1958.

ولقد اعتمدنا على ما نشرته دورثى وايتلوك تحت عنوان :

Extracts from Historia Regum « History of the Kings » attributed to Simeon of Durham, cf. E. H. D., vol. I, pp. 263 - 280.

(ثالثــا)

المصـــادر العربية الأصـــلية

— القرآن الكريم •

— صحيح مسلم ، جـ٢ ، طبعة عيسى الحلبى ، القاهرة ، بدون تاريــخ •

— صحيح البخارى ، جـ٥ ، طبعـــة الشعب ، القــاهرة ، بدون تاريـــخ •

— المنذرى (ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) زكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى :
« الترغيب والترهيب » اصدار مكتبة الدعوة الاسلامية (شباب الأزهر) ، ٢جـ ، القاهرة ، (بدون تاريخ) •

— محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦هـ / ١٧٩١ — ١٧٩٢م — :
كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد ، نسخة تحتوى على تعليقات مفيدة تحت عنوان (قرة عيون الموحدين فى تحقيق دعـــوة الأنبيـــاء والمرسلين) ، القاهرة ، بدون تاريخ •

— النويرى الكندى (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م) شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب :
نهاية الأرب فى فنون الأدب ، نسخة صادرة عن طبعة دار الكتب ، اصدار وزارة الثقافة والارشاد ، الجزء الثامن عشر ، القاهرة ، ١٩٥٤ •

(رابعـا)

المراجـع الثـانوية الأوربيـــة

Allan, J.,

Numismatic Chronicle, London, 1914.

Atiya, A. S.,

Crusade, Commerce & Cultrure, Boolimington, 1962.

Balog, P. et Yvon, J.,

Monnaies a Légendes Arabes de L'Orient Latin, cf. La Revue Numismatique, 6 eme Série, t. 1, 1958.

Beltran, p.,

cf. Centennial Publication of the American Numiamatic Society, 1958.

Blunt, C. E.,

The Coinage of Offa, cf. « Anglo - Saxon Coins », ed. R. H. M. Dolly, Studies presented to F. M. Stenton on his 80th birthday, London, 1961.

Brondsted, J.,

The Viking, London, 1975.

Brooke, G. C.,

English Coins from the 7th. Century to the present day, London, 1932.

Cambridge Medieval History (The Shorter), ed. C. W. previte — Orton, 2 vols., 11th. ed., Cambridge, 1979 - 82.

Cantor, N.,

The Medieval World (300 — 1300), N. Y., 1968.

Chancellor, V. E.,

Medieval & Tudor Britain, London, 1976.

Fisher, H. A. L.,

A History ot Europe, 2 vols, London, 1937.

Hart, C.,

The Kingdom of Mercia, cf. Mercian Studies, ed. Dornier, Lecister, 1977, pp. 43 — 61.

Hobs, B.,

Coins & Coin Collecting, London, 1955.

James, M. R.,

Two Lives of St. Ethelbert, King & Martyer, of E. H. R., vol. 32, 1917.

Kent, J.,

2000 Years of British Coins & Medals, British Museum Publications, London, 1978.

Lavoux, H.,

Monnaies a Legéndes Arabes frappees en Syrie par les Croises, Paris, 1877.

Moondin, M.,

Did King Offa accept the Faith of Islam, Ta Ha Publishers, LTD., London, (N. D.).

Prawer, J.,

The Latin Kingdom of Jerusalem, London, 1972.

Richmond, I. A.,

Roman Britain, London, 1971.

Schulmberger, G.,

Numismatique de L'Orient Latin, Paris, 1978.

Stenton, Sir F.,

Anglo - Saxon England, 3 rd. ed. (Reprinted), London, 1984.

Wilson, D.,

The Anglo - Saxon, London, 1972.

Wormald, P.,

The Anglo - Saxons, ed. J. Campbell, Phidon Press, 1980, cf. (The Age of Offa & Alcuin), Chapter 59, pp. 101 - 122.

(خامسا)
المراجع الثانوية العربية والمعربة

— **السيد عبد العزيز سالم (الدكتور) :**

تاريخ الدولة العربية ، الاسكندرية ، ١٩٧٥ •

— **بلوك (مارك) :**

« مشكلة الذهب فى العصر الوسيط » المقالة الأولى من كتاب بحوث فى التاريخ الاقتصادى ، ترجمة الاستاذ توفيق اسكندر ، اصدار الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة ، ١٩٦١ •

— **ديفز (هـ٠و) :**

أوربا فى العصور الوسطى ، ترجمة د٠ عبد الحميد حمدى ، الاسكندرية ، ١٩٥٨ ٠

— **ديورانت (ول) :**

قصة الحضارة ، ترجمة الاستاذ محمد بدران حافظ، طبعة جامعة الدول العربية ، جـ٤ ، المجلد الرابع ٠

— **راوس (أ٠ل) :**

التاريخ الانجليزى ، نقله الى العربية د٠ محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ، ١٩٤٦ ٠

— **صفاء خلوصى (الدكتور) :**

« محاولة الملك جون صاحب (الماغناكارتا) اعلان الاسلام دينا رسميا ببريطانيا فى القرن الثالث عشر » ، حديث أذيع من اذاعة لندن يوم ١٨ يناير ١٩٧٩م ، انظر نشرة البرامج العربية لهيئة الاذاعة البريطانية ، العدد ٣٦٧ ، السنة العشرون ، القاهرة ، مايو ١٩٧٩ ٠

— **عبد الرحمن فهمى محمد (الدكتور) :**

موسوعة النقود العربية وعلم النميات (فجر السكة العربية) ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٦٥ ٠

— فيليب حبيب خورى :
تاريخ العرب ، المجلد الثانى (الدولة العباسية — العرب فى أوربا : أسبانيا وصقلية ، آخر الدول الاسلامية فى العصور الوسطى) ، ترجمة الاستاذ محمد مبروك نافع ، ط٢ ، القاهر ، ١٩٤٩م .

— لومبار (موريس) :
« الأسس النقدية للسيادة الاقتصادية » ، المقالة الثانية من كتاب بحوث فى التاريخ الاقتصادى ، ترجمة الاستاذ توفيق اسكندر ، اصدار الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة ، ١٩٦١م .

— محمد محمد مرسى الشيخ (الدكتور) :
الممالك الجرمانية فى أوربا العصور الوسطى ، الاسكندرية ، ١٩٧٥ .

— مصطفى حسن الكنانى (الدكتور) :
— العلاقات بين جنوة والفاطميين فى الشرق الأدنى (١٠٩٥ — ١١٧١م / ٤٨٨ — ٥٦٧هـ) ، الاسكندرية ، ١٩٨١ .
— العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الاسلامى (١١٧١ — ١٢٩١م / ٥٦٧ — ٦٩٠هـ) ، الاسكندرية ، ١٩٨١ .

— نظير حسان سعداوى (الدكتور) :
تاريخ انجلترا وحضارتها فى العصور القديمة ولوسطى ، القاهرة ١٩٥٨

(سادسا)
دوائر المعـــــارف والمعـــاجم

— Academic American Encyklopedia, Princeton, New Jersy, 22 vols., 1980.

— Catholic (The) Encyclondia, an International work of Reference on the Constitution, Doctrine, Discipline and History of the Catholic Church, 15 vols. and index, Special edition under the uspices of the Caleman Association, London, (N. D.).

— Chamber's Encyclopedia, New Revised edition, vol. X, London (N. D.).

— Dictionnaire Universale d'Histoire et de Geographique, Paris, 1884,

— Encyclopedia (The New) Britainnica, 36 vols, London, 1943 - 74.

— New Age Encyclopedia, 20 vols., London, 1980.

— Oxford Companion (The) to English Literature, Compiled & edited by Sir Paul Harven, 2 nd. ed., Oxford, 1938.

— Oxford Illustration Dictionary, vol. II, Oxford, (N. D.).

— Penguin Dictionary (The) of Saints, ed, D. Attwater, London, 1975.

— Penguin Encyelopedia (The) of Places, ed. W. G. Moore, London, 1971.

تــم ولله الحمــد والمنـــة

اللوحـــــات والملحق والخريطة

لوحـــة رقم (١)

الظهر　　　　　　　　　　　الوجـــه



دينــــار الملك أوفــّــا الذهبى

(بتصريح من المتحف البريطانى بلندن)

لوحـــة رقم (٢)

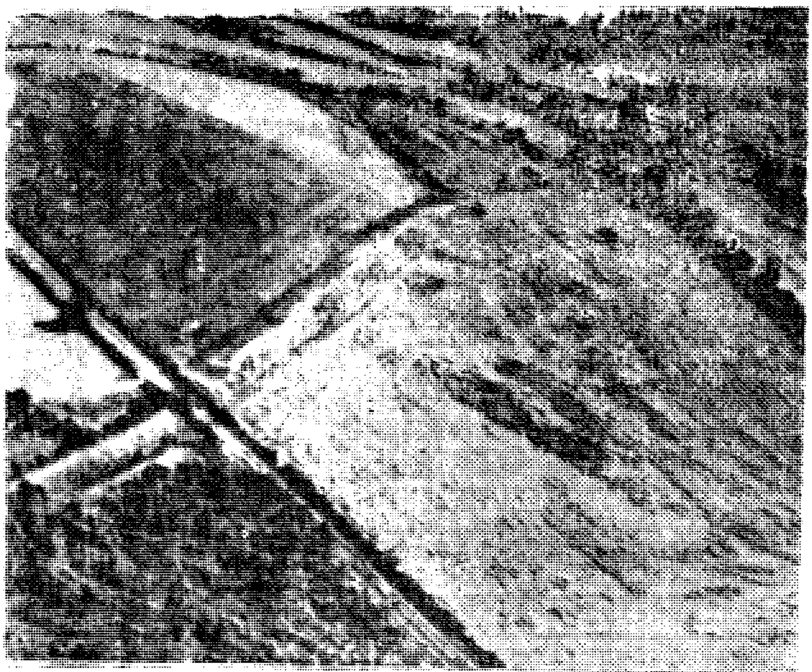
الظهر   الوجـــه



الدينار العباسى الذهبى ، الذى ضرب أوفَّا ديناره على طرازه

(بتصريح من متحف الفن الاسلامى بالقاهرة)

لوحـــة رقم (٣)



ســـــور أوفـــا العظــيم

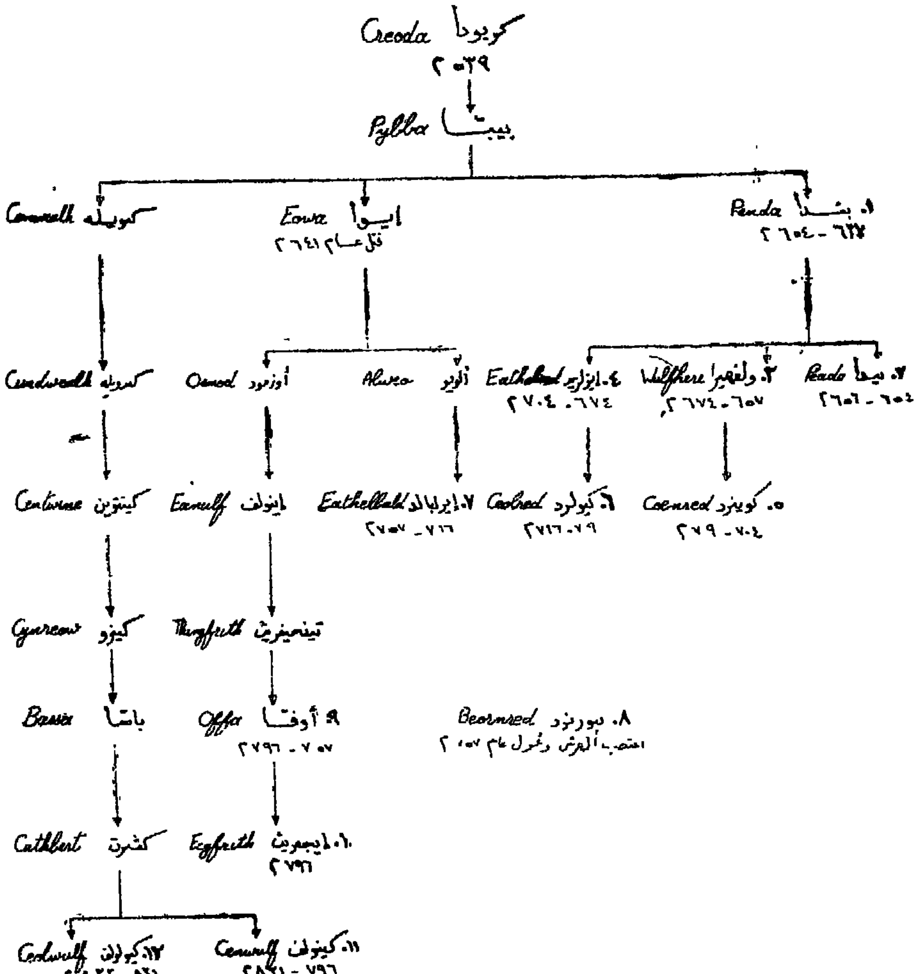
(صورة من الجو على بعد ثلاثة أميال من مينستون Mainstone

فى مقاطعة شورب Shorpshire)

نقلا عن Wormald, op. cit., p. 121

ملحق رقم (١)

رسم تخطيطي يوضح تسلسل نسب ملوك مرسيا(١)



(1) cf., Hart, The Kingdom of Mercia, P.55



إنجلترا فى عصر الملك أوفا
[الممالك السبع (الهبتاركى)]
إسكس
نهر التيمس
لندن
أوكسفورد
كنت
سسكس
ويسكس
كورنوال

وقعت أخطاء مطبعية ، اعتذر للقارىء الكريم عنها ، وأصوب ما دقّ منها ، وأدع غيرها لفطنته .

ص	س	الخطـــأ	الصواب
١٠	٥	نشـــر	نشـــرا
١٥	٣	أســـلفا	أســـلفنا
١٧	٢٠	راســـه	رأســـه
٢٠	١٩	المـــالك	المـــالك
١١٥	٩	ســـلك	ســـك
١٢٢	١	قـــراره	قـــرارة
١٣٩	١٣	باقمـــه	باقامـــة

محتـــويات الـــــكتاب

المحتوى رقم الصفحة

اللوحات والملحق والخريطة

رقم الايداع : ٤٠٩٠ / ٨٦

مطبعة الإشعاع الفنية

لصاحبها الحاج يوسف ابراهيم الرفاعي

المعمورة البلد - بحري - شارع مسجد الأوقاف